

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّة

وَقُطُوفُ

تَفْسِيرِيَّة

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّةٍ وَقُطُوفُ تَفْسِيرِيَّةٍ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تجلّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفسِّري الأمس مُعاصرين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: "كَانَ عَمْرُ بْنُ الْحَسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمَجْسطِي عَلَى عَمْرِ الْأَبْهَرِيِّ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَأُونَهُ؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أَفْسِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} فَأَنَا أَفْسِرُ كَيْفِيَّةَ بِنَانِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوْعُّلًا فِي بَحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ"^١، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م^٢، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

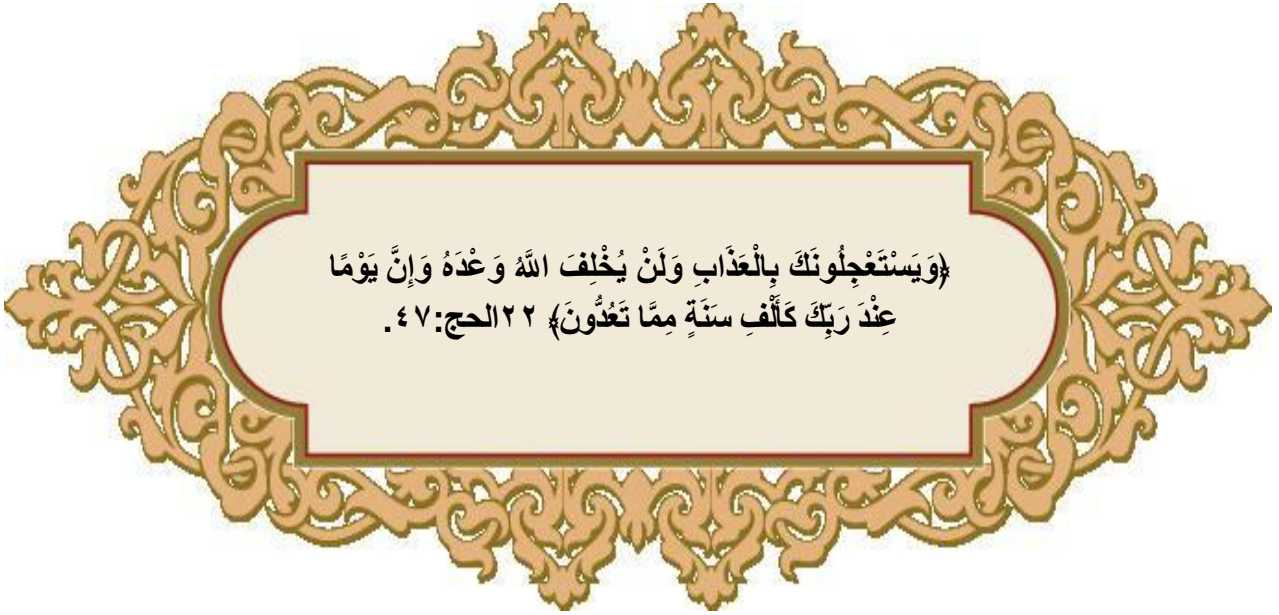
والتفسير بالعلوم يوضّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١ فصلت: ٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ الأنعام: ٦٦ و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ يونس: ٣٩، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٣٨ و٨٧ و٨٨.

د. محمد دودح



^١ فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٥٤١٤).

^٢ موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.



﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧.

الفقرة Paragraph

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ.
وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَالْيَوْمِ الْمَصِيرُ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧ و٤٨.

كلمات إرشادية keywords

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

ترجمة (تفسيرية) Translation

They (the disbelievers) **argue you to hasten the excruciating pain** (of the last day; refusing it); **but Allah will never break his promise** (by the new world). **And verily** (everything is perfectly made, that a distance in) **a day; as your Lord has designed, is like** (the distance covered in) **one thousand** (of your own lunar) **years, according to what you reckon** (as if earth is motionless; i.e. in the isolated earth-moon system).



لَمَحَاتُ بَيَانِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ

Eloquent & Scientific Hints



(أ) سرعة مُقدرة واحدة ثابتة

يُصرح القرآن الكريم بخروج أثقال الأرض من باطنها عندما تحل ساعة خراب العالم؛ تسبقها زلازل جبارة كما هو الحال في سبق الزلازل للبراكين كما نعلم اليوم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٩٩ الزلزلة: ١ و٢، ومدلول لفظ (الأرض) الأول هو السطح الصخري بقرينة الزلزال، ومدلول لفظ الأرض التي تُخرج الأثقال هو الكوكب بقرينة إخراج الأثقال؛ ولا تكرر، إحكام من مُقتدر عظيم بخلقه عليم، وتعتمد الجاذبية الأرضية على ما فيها من أثقال، وبإلقاء ما فيها تتخلى الأرض عما كانت تُمسكه على سطحها بقوة الجاذبية: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ٨٤ الإنشقاق: ٣ و٤.

وتتصافر الأنبياء لتجزم بأن السماوات خُبلَى باليوم الأخير، وأن قُوى الدمار آتية لتطرق الأبواب بأقصى سرعة مُقدرة؛ وتصل بعتة لا يسبقها نذير: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧ محمد: ١٨، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ١٧ الأعراف: ١٨٧، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦ النحل: ١، فلا يحتاج إذن مزيد استعجال مع أبلغ قيمة للسرعة في الكون قدرها القدير؛ وأعلنها النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧، إنه إن حدث مُروع مهول ووعده مُحتم تحققه؛ قُدر مقدور لا سبيل لتجنبه، والقيمة الواحدة الثابتة لسرعة القُنوم تنطق بوحداية القدير.



إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

وفي سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}** ٤٤ القمر: ٤٩ و ٥٠، وجاءت الكلمة المفردة **(أَمْرُنَا)** نظير **(كُلَّ شَيْءٍ)** فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيليوم، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء" ٣، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشَّيْءُ: أَضَاءَ" ٤، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألويسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته" ٥، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَائِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمَحُ الْبَصَرِ نَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمَحِ الْبَصَرِ فِي السَّرْعَةِ" ٦، "تَشْبِيهُهُ بِأَعْجَلِ مَا يَحْسُنُ" ٧، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبُرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَتِلْكَ فِي غَايَةِ السَّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة" ٨، وسرعة الأمر إن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: **{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}**؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر" ٩، والتعبير عن كل شيء بلفظ مفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهاً بالأمر بكلمة (كُن)، والموجه للغير موجود كأنه موجود؛ بياناً تصويرياً للمشينة العلية النافذة والقدرة المطلقة المُبدعة.

^٣ أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م (٢٠٩/١٥).

^٤ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م (٣٨٤/١٤).

^٥ شهاب الدين محمود الألويسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥ هـ (٤٣٥/١٧).

^٦ أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٥٧٣/١٦).

^٧ أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٤٩/١١٠).

^٨ فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠ هـ (٣٣٠/١٢٩).

^٩ جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أسرار التفسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمنبنة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م (٢١٩/١٥).

وفي النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢ السجدة: ٥؛ قياس لقيمة سرعة (الأمر)؛ بياناً لتقدير واحد ثابت على طول عمر الكون يقطع بوحدانية القدير، وثبات قيمته دوماً يؤكد: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧، قال الأبياري: "فإن يوماً واحداً عنده (في تقديره تعالى في ملكه)؛ يماثل ألف سنة مما (تعدون): تَقْدِرُونَ وَتَحْسُبُونَ" ١٠.



وقد كانت السنة تُعرف في بيئة العرب بسير القمر في ١٢ دورة حول الأرض الساكنة؛ وفق ما كانوا يعدون بمجرد النظر طبقاً لنظام مركزية الأرض Geocentric Model، ويقتضي قياس قيمة سرعة (الأمر) إذن والمماثلة لقيمة سرعة الضوء أن: المسافة التي يقطعها القمر في ١٢ ألف دورة يقطعها الضوء في يوم باعتبار سكون الأرض، قال ابن عباس أن القياس: "مِقْدَارُ سَيْرِ الْأَمْرِ" ١١، و: "لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ" ١٢، و"عَنْ قَتَادَةَ؛ (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ يَقُولُ: مِقْدَارُ مَسِيرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" ١٣، والمعنى: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ" ١٤، و"الشَّمْسُ فِي طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الطَّلُوعِ فِي يَوْمٍ؛ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ" ١٥، "لِسُرْعَةِ (الأمر) .. لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ" ١٦.

^{١٠} إبراهيم بن إسماعيل الأبياري؛ الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب؛ ١٤٠٥هـ (١١٠/٣٥٨).

^{١١} محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٥/٢٧٨).

^{١٢} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤/٨٧).

^{١٣} محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١١٨/٥٩٢).

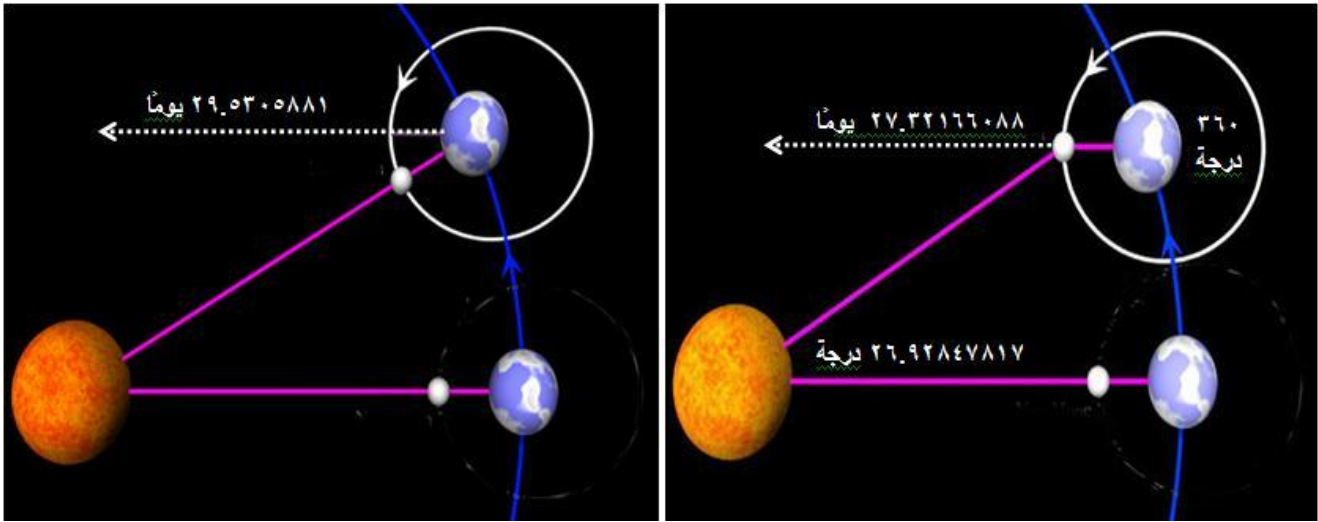
^{١٤} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤/٨٧).

^{١٥} محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٤/٢٨٦).

^{١٦} أبو حيان أنير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٨/٤٣١).

وقال الرازي: "اعلم أن السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية؛ والدليل عليه هذه الآية: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ} التوبة: ٣٦، وأيضاً قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ) ١٠ يونس: ٥، فجعل تقدير القمر بالمنازل علة للسنين والحساب، وذلك إنما يصح إذا كانت السنة معلقة بسير القمر، وأيضاً قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) البقرة: ١٨٩، وفي "قوله: (وقدره منازل)؛ الضمير (يرجع ابتداءً) إلى القمر.. لأن بسير القمر تُعرف الشهور، وذلك لأن الشهور المُعتبرة في الشريعة مبنية على رؤية الأهلّة، والسنة المُعتبرة في الشريعة هي السنة القمرية^{١٧}، فالسرعة إن في الكون مُقدرة، ولأن سرعة الأمر كسرعة الضوء؛ إن سرعة الضوء مسيرة ألف سنة قمرية في يوم واحد.

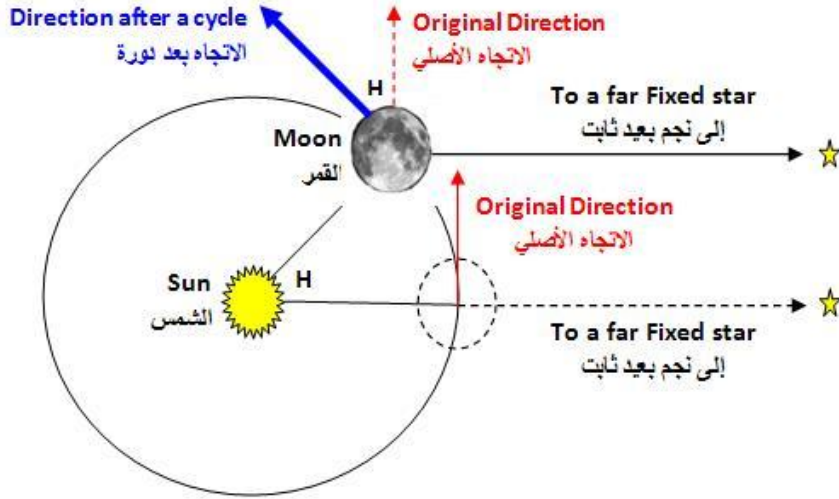
والإصرار في القياس على جعل معيار حركة القمر مما كانوا يعدون بمجرد النظر؛ يتفق مع المعرفة حديثاً بأنها نسبية، والقياس يتطلب أن تكون وفق ما كانوا يظنون من سكون حركة الأرض والقمر حول الشمس؛ فتصبح قيم حركته مجردة وثابتة، فلا يدرك أنه يدور مع الأرض حول الشمس إلا مراقب خارج النظام الشمسي، والناظر بالعين المجردة لا يدرك أن بعده يتغير شهرياً بنسبة حوالي: ١١% من البعد الوسطي؛ وكذلك سرعته، فهي بالنسبة إليه مُستبعدة، وإذا استبعدت وأجري الحساب وفق ما كانوا يعدون تُطابق النتيجة قيمة سرعة الضوء؛ وهي حوالي: ٣٠٠ ألف كم/ثانية، والإصرار إذن على تجريد حركة القمر حول الأرض من نسبة زائدة؛ لا بد من تضمُّنه حكمة باعتبارها زيادة ظاهرية، فهم كانوا يحسبون الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب؛ كما لو كانا في نظام معزول عن أي تأثير خارجي، وبهذا الاعتبار تُصبح حركة القمر كأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت فتتحقق الدورة الحقيقية المُجردة.



ومعلوم فلكياً أن القمر يتم دورته بالنسبة للنجوم Sidereal Month في: ٢٧,٣٢١,٦٦٠,٨٨ يوماً، بينما الشهر القمري Synodic Month: ٢٩,٥٣٠,٥٨٨١ يوماً، والزيادة ناتجة عن تحرك الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، واليوم بالمثل بالنسبة للنجوم: ٨٦١,٦٤٠,٩٩٦٦ يوماً، والثانية، والزيادة كذلك ناتجة عن تحرك الأرض أثناء حركته حولها.

^{١٧} فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٠١٦ع).

^{١٨} فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٠١٧ع).



ومعلوم فيزيائياً أن جميع قوانين حركة الأجسام؛ لا تكون ثابتة إلا في نظام معزول عن التأثيرات الخارجية، وأن أي تأثير خارجي على حركة جسم يُكسبه تسارع Acceleration؛ ينعكس إما على تغير سرعته أو اتجاهه، وبالنسبة للنجوم يكتسب القمر كل دورة حول الأرض زاوية حول الشمس: $26,92847817$ (حوالي: 27) درجة^{١٩}، وتغير اتجاهه إذن بالنسبة لنجم بعيد ثابت كل دورة حول الأرض يعني اكتساب قيم حركته المرصودة فلكياً نسبة تسارع، وبتحليل مركبة متوسط سرعته المدارية إذن في الاتجاه الأصلي بعد دورة حول الأرض تتعین نسبة سرعته المُجردة^{٢٠}: $0,1084274577$ (حوالي ١١%)؛ هي النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، أي ضعف قيمة نقصان الاستدارة (e) Eccentricity؛ حوالي: ٠,٠٥٥، فهي إذن تمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركته مع الأرض حول الشمس، حيث تكافئ النسبة (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وتكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتحقيق دورته الحقيقية المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما يعدون، وإذن الشرط المُذهل: **(مِمَّا تَعْنُونَ)**؛ قد أوجز المعايير الفلكية والفيزيائية لإقامة علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمرى، وبذلك تتحقق المساواة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والمسافة التي يقطعها القمر بحركته المُجردة في ألف سنة؛ أي أن سرعة الضوء غير لحظية وإنما مُقدرة وقيمتها دوماً ثابتة؛ ولا تتجاوز في يوم مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة.

قال النابلسي: "القرآن يُخاطبُ أناساً يعتمدون السنّة القمرية، حيث إن القمر يدور حول الأرض كلَّ شهرٍ دورة..، (وقد عرفنا المسافة التي يقطعها القمر من الكيلومترات في رحلته حول الأرض في العام، ولو ضربناها في ألف لعرفنا ما يقطعُه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام..، (و) القمر يقطع في ألف عام ما يقطعُه الضوء في يوم واحد، بدليل أننا لو قسمنا ما يقطعُه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام على ثواني اليوم؛ كانت هذه النتيجة هي سرعة الضوء في الثانية، وهي مائتان وتسعة وتسعون ألفاً وسبعمائة واثنان وتسعون كيلومتراً ونصف كيلومتر؛ وهذه النتيجة تتفق تماماً مع سرعة الضوء..، مع العلم أن سرعة الضوء هي أهم قانون عرفته البشرية في القرن العشرين، وهذه السرعة هي أعلى سرعة في الكون..، (وباختصار:) المسافة التي يقطعها القمر في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنة قمرية؛ تساوي المسافة التي يقطعها الضوء في يومٍ أرضي واحد"^{٢١}.

^{١٩} السنة النجمية: $365,25636$ يوماً، إذن الزاوية التي تغير اتجاه القمر بالنسبة لنجم بعيد كل دورة = (شهر نجمي/سنة نجمية) $\times 360 = 26,92847817$ (حوالي 27) درجة.

^{٢٠} أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الأفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص ١٠٦).

^{٢١} جيب تمام (جتا) $26,92847817 = 0,1084274577$.

^{٢٢} محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (٢٢/٢).

وباختصار: شرط القياس **(مِمَّا تَعُدُّونَ)**؛ المذكور بإصرار لوصف الألف سنة، عائد على معنى الألف سنة في السياق، قال القرطبي: "فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ.. (أي) لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"^{٢٣}، وقال القاسمي: "الف سنة من سنينكم"^{٢٤}، وقال أبو حيان: "و) السَّنَةُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ، وَهَذَا الْحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: **(وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ)**"^{٢٥} ١٠ يونس: ٥٠٠، والشرط: **(مِمَّا تَعُدُّونَ)**؛ يفرض حساب حركة القمر وفق ما يعنون مُستبعدين حركته حول الشمس ونسبة تغير بعده (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وبإستبعادها يتحقق القياس بالفعل في نظام حسابي افتراضي في معادلة كلا طرفيها في نظام معزول، وبالتالي تظل العلاقة ثابتة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والتي يقطعها القمر في مداره بسرعه المجردة.

قال ابن عجيبة: "إن سرعة.. أكثر من سرعة..، كما يقول القائل: من موضع كذا إلى كذا مسيرة شهر للفارس وشهرين للراجل؛ وعليه يخرج قوله تعالى: **(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)**"^{٢٦}.

والسرعة الوسطية للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم/ثانية^{٢٧}، والقيمة: ٢٧٢ ٢٧٩٤ ٢٢٧٩٤ (حوالي: ١,٠٢٣) كم/ثانية تُحقق قيمة سرعة الضوء المُعمدة عالمياً منذ عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم/ثانية^{٢٨}؛ حيث أن مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة بالنسبة للنجوم = (١,٠٢٢٧٩٤ ٢٧٢) × (١,٠٢٢٧٩٤ ٢٧٢ × ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ × ٨٦٤٠٠) × (١٢ × ١٠٠٠) × (٠,٨٩١٥٧٢٥٤ ٢٣) كم = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، واليوم بالنسبة للنجوم = ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم/ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم/ثانية، وهي نفس القيمة المُعمدة فيزيائياً، بينما القيمة التقريبية المُستخدمة عملياً في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم/ثانية.

قال الألويسي: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"^{٢٩}، وقال محمود شكري حفيد الألويسي: "وإن) من (النجوم).. ما لا يصل نُورُهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي مئة سنة بل أكثر؛ مَعَ شِدَّةِ سُرْعَةِ الضَّوِّءِ"^{٣٠}، ولم يكن لبشر حين نزل القرآن الكريم أن يدرك أن سرعة الضوء لا نهائية ليحازف مُتَحَدِّيًا ويجعل سرعة الانتقال في الكون محدودة؛ بل ويقدرها بسير القمر أقرب الجيران وأيسر العرب؛ حتى أنهم جعلوا موعد الهلال أساس تقدير السنة، قال ناصر مكارم: "هذا يدلُّ أن تعابير القرآن إلى أي مدى عميقة؛ وذات معنى غزير، وفي ظيَّات تعابيره حقائق كامنة؛ إذا لم يُقدَّر لها أن تُعرف في عصر نزولها فإنها تتجلى بمرور الزمان"^{٣١}.

وقد صاغ ماكس بلانك أقل مسافة لموجة (١٠^{٣٨} كم) وأقل زمن لحدوثها (١٠^{٤٣} ثانية)؛ باعتبار سرعة الضوء ثابتة منذ بدء الخلق (١٠^{٣٨} كم/ثانية)، واعتبرت تلك خصائص اللبنة الأساسية الواحدة للكون كله في المفهوم التوحيدي الحديث مثل فكرة الوتر الفائق، وخطى أينشتاين خطوة ضخمة بتوحيد المادة والطاقة بنفس سرعة الضوء ثابتة القيمة (E=mc²)، فأذن قيمة سرعة الضوء هي المعيار لتحول القوى إلى مواد لتتشيد الذرات والمجرات؛ وهي سرعة جميع القوى في الكون، قال القاسمي: "**(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ)**.. لا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها.. ما عنده تعالى من المقدار"^{٣٢}، وثبات التقدير بسرعة واحدة ثابتة في الكون كله وعلى طول تاريخه؛ برهان ساطع يشهد للفظين بوحداية المُبدع القدير.

^{٢٣} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٨٧/١٤).

^{٢٤} محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٢٥٣/٧).

^{٢٥} أبو حيان أثير الدين الأنلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صفي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (٤١٤/١٥).

^{٢٦} العباس أحمد بن عجيبة الحسني النطواني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ؛ تفسير ابن عجيبة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المكتبة الشاملة (٣٨٧/١٤).

^{٢٧} Laros Astronomy, p.142.

^{٢٨} Oxford Encyclopaedia, p316.

^{٢٩} شهاب الدين محمود الألويسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (٦٥/١١٥).

^{٣٠} أبو المعالي محمود شكري الألويسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ - ١٩٧١م (٤١/١١).

^{٣١} ناصر مكارم الشيرازي؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الموقع الرسمي للمؤلف (٢٧٣/١٧).

^{٣٢} محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٢٥٢/٧).

الوظائف الدلالية للشرط (مِمَّا تَعُدُّونَ):

في القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢ السجدة: ٥؛ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧، النسبة للعرب تجعل السنة بحركة القمر حول الأرض ليطم ١٢ دورة ظاهرية على ما كانوا يعهدون، وشرط تحقق القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) عائد على معنى (أَلْفَ سَنَةٍ) في السياق؛ وهو قطع القمر لمسافة بحركته الفلكية، والتعبير (تَعُدُّونَ) جامع لمعنى الإحصاء والعدد؛ ومعنى التوهم والظن، مثل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ٣٨ ص: ٦٢؛ ووفق نموذج مركزية الأرض Geocentric System كان مُعتقدهم بحسب النظر بالعين المجردة من سطح الأرض؛ أنها ساكنة لا تدور حول الشمس، وأن القمر يدور حولها فحسب؛ ولا يدور معها حول الشمس، فأفاد التعبير (مِمَّا تَعُدُّونَ) إذن بأصل وضعه اللغوي بأن ما يتوهمون ويظنون من الحركات الفلكية لا يُطابق الواقع، وطابقت الدلالة المفهوم الفلكي الحديث؛ في أن القمر بخلاف ما يظنون يدور حول الشمس مع الأرض أثناء دورانه حولها.

وكما تُحدّد حركة السفن في البحر بنسبتها إلى نقطة ثابتة على الشاطئ؛ تُحدّد حركة القمر بالنسبة لنجم ثابت، والإصرار إذن على إجراء الحساب وفق ما يعدون من سكون حركة القمر حول الشمس ليتحقق القياس؛ لا يكون إلا بالنسبة لنجم ثابت، فهو إذن إجراء افتراضي لحساب المدة الحقيقية لدورة القمر حول الأرض؛ ودورتها حول نفسها بالنسبة لنجم ثابت.

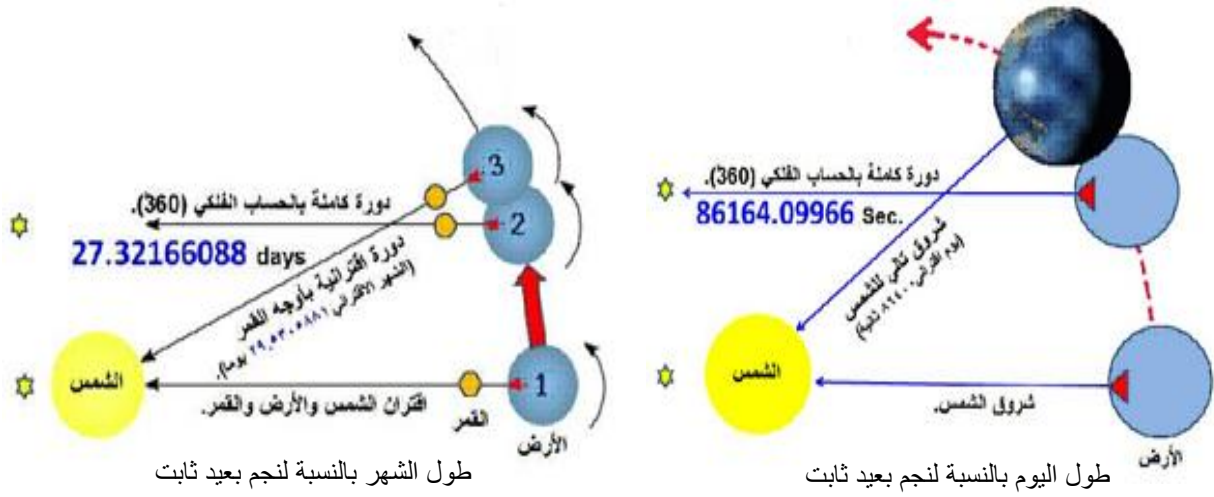


والشهر الحسابي ليطم دورة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم في منازل النجمية يقل عن الشهر القمري المرصود بحوالي يومين؛ والزيادة الظاهرية ترجع فلكياً لتحرك الأرض في مدارها حول الشمس أثناء دورته حولها، وبياته: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ مَنَازِلٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٦ يس: ٣٩، فالنسبة للمنازل النجمية، والعرجون القديم تشبيه لهلال آخر الشهر بالشمروخ اليابس حامل التمر، ودورة القمر بالنسبة لنجم: من هلال أول الشهر إلى هلال آخره بدون المحاق، قال الألوسي: "القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماً وثلاث يوماً" ٣٣؛ وقاله أيضاً أطفيش ٣، وقال العاني: "المنازل سبعة وعشرون وثلاث" ٣٥، وبنسبة حركة الأرض حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد كذلك؛ يقل اليوم بحوالي أربع دقائق.

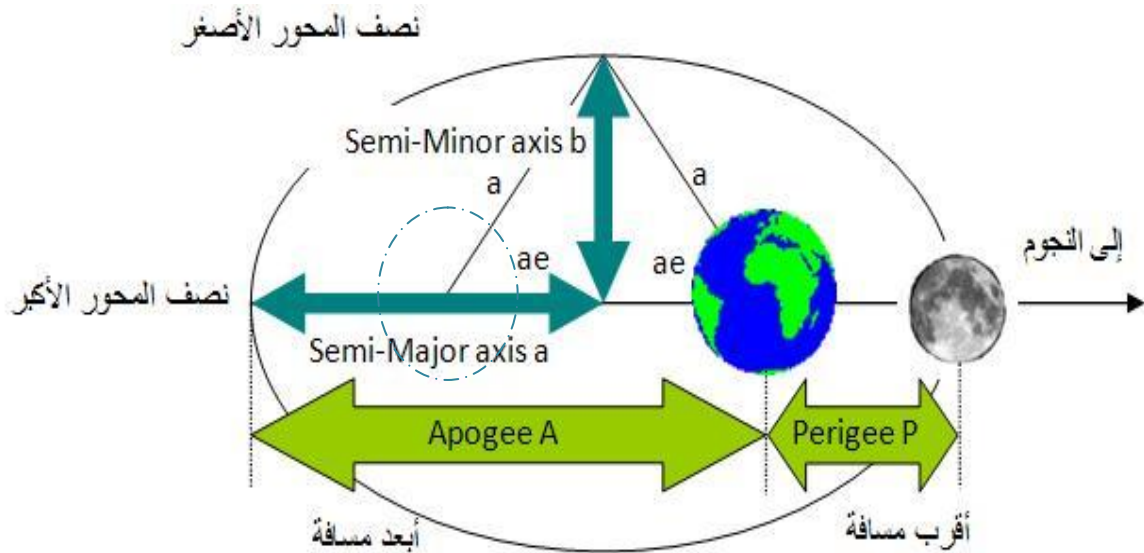
^{٣٣} شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦١٢).

^{٣٤} محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٨/٣٦١).

^{٣٥} عبد القادر بن ملا العاني؛ بيان المعاني، مطبعة الترقى بدمشق، الطبعة الأولى؛ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م (١٢/٤٢).



فهنالك إن فرق بين الحركة الفلكية الظاهرية اعتماداً على الرصد؛ وبين حساب الحركة الفعلية قياساً على المنازل النجمية، وهو مُقتضى التعبير الجامع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠ يونس: ٥، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٧ الإسراء: ١٢، وحرف (الواو) يُميز بين عدد السنين القائم على الحركة الظاهرية للشمس والقمر لعامة الناس؛ وبين الحساب الفلكي لحقيقة الحركة لأهل الاختصاص.



والقمر في الواقع مُتغير السرعة والبُعد عن الأرض؛ وكلما اقترب يزداد حجمه لكون مداره بيضاوي (قطع ناقص) Ellipse ذو بؤرتين^{٣٦}، وليس دائرة ذات مركز واحد، ومتوسط درجة انحراف كل بؤرة عن الدائرة (Eccentricity (e) (ae/a) حوالي: ٣٧,٠٥٥، ومعدل التغير Variation Ratio كل دورة في متوسط البعد أو السرعة (2ae/a = 2e) حوالي: ١١%، ولذا في كل دورة تتغير درجة سطوع القمر بنسبة حوالي: ١١%؛ ويتغير حجم قرصه بنسبة حوالي: ١١%، وهي نسبة لا تكفي كي تلاحظها العين المجردة؛ ولذا كانت في عُرف القدامى قبل القرن السابع عشر في حُكم المُستبعدة، وأول من أدرك بيضاوية مدارات الأجرام السماوية هو يوهانز كيبلر Johannes Kepler (١٥٧١-١٦٣٠).

^{٣٦} في المدار البيضاوي أو القطع الناقص؛ مجموع بُعد أي نقطة على المدار عن البؤرتين يبقى ثابتاً.

^{٣٧} Chong-Hung Zee; Theory of Geostationary Satellites, Library of Congress, Chapter 4: Sun and Moon effect; 1988 (86).

^{٣٨} <http://aa.quae.nl/en/antwoorden/maan.html>

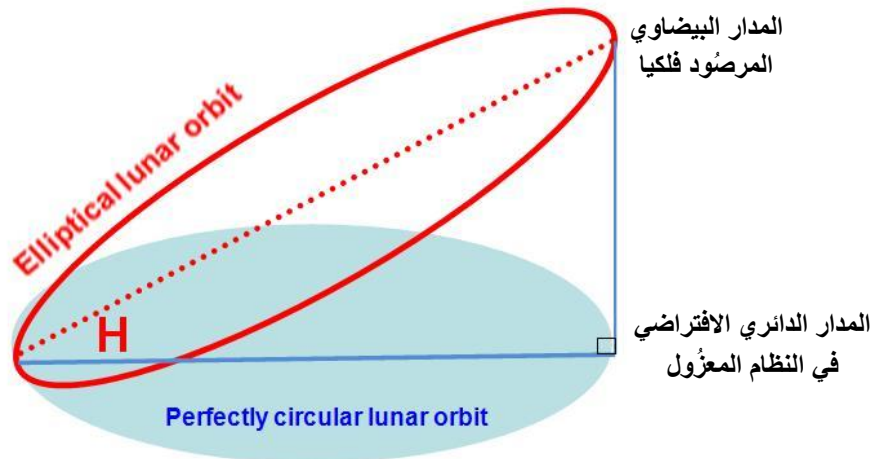
^{٣٩} <https://www.lhup.edu/~dsimanek/3d/moonillu.htm>



مقطع بيضاوي في ثمرة خيار



مقطع دائري في ثمرة خيار

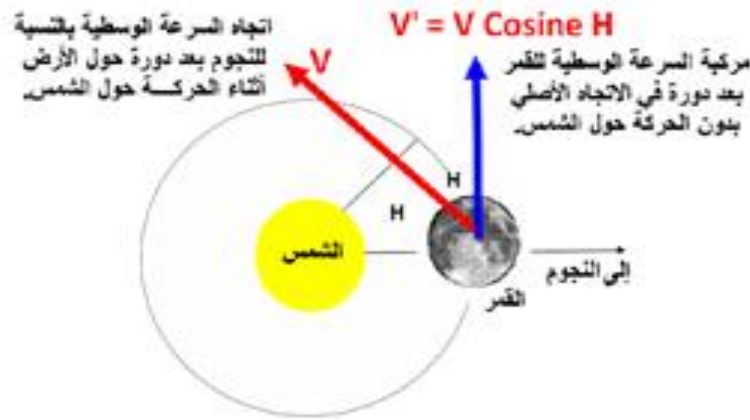


The perfectly circular orbit of the moon in the isolated earth-moon system is the projection of the astronomically based elliptical one.

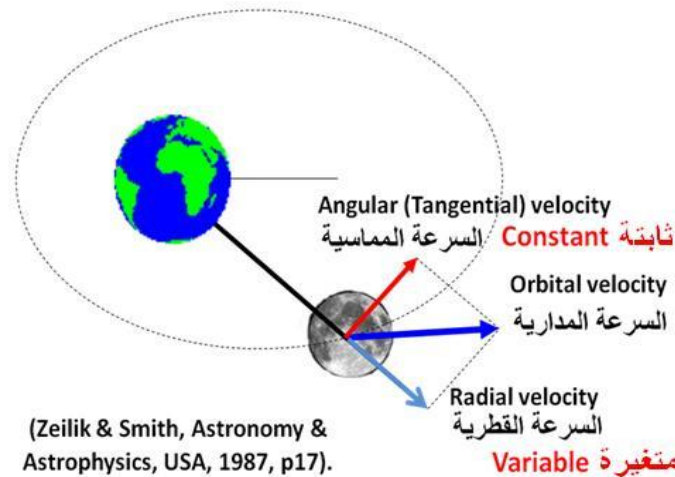
المدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول مسقط المدار المرصود فلكيا.

والمدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول أشبه بمقطع عرضي دائري في ثمرة خيار؛ أما القطاع البيضاوي فينتج بقطع الثمرة بميل بنفس الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة، أي أن المدار الدائري هو مسقط المدار المرصود.

ولو كان مدار القمر كامل الاستدارة **Perfectly Circular Orbit** كما كانوا يُعدون؛ فستكون سرعته بحركته الذاتية حول الأرض الساكنة ذات قيمة ثابتة على كل نقاط المدار وخالية من نسبة التغير: $2e$ ، وستكون مُتعامدة دوماً على القطر؛ وستكون الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة: صفر، أي أن مركبة سرعته بعد دورة لم يتغير اتجاهها الأصلي (جتا صفر = 1)، وكان حركته بالنسبة لنجم في خط مستقيم؛ أي في نظام معزول **Isolated System** عن التأثير الخارجي.



والمدار
المرصود فلكياً
 للقمر وهو يدور مع الأرض حول الشمس ليس دائرياً؛ وتُعاني معايير حركته من نسبة تغير $(2e)$ ، وبالنسبة لنجم يقطع حول الشمس زاوية (H) قدرها: (شهر نجمي سنة) $360 \times (365,25636 \text{ } 127,32166088) = 360 \times 26,92847817$ (حوالي 27) درجة، أي أن سرعته بعد دورة قد تغير اتجاهها بالنسبة للنجم بنفس الزاوية، والمعلوم فيزيائياً أن السرعة مُتجه **Vector** كالقوة؛ لا يتغير اتجاهها ولا قيمتها في النظام المعزول إلا باكتساب تسارع **Acceleration** نتيجة تأثير خارجي^{٤٠}، ويُمكن استبعاد نسبته من السرعة الوسطية بتحديد نسبة مركبة الزاوية في الاتجاه الأصلي بعد دورة (جتا $26,92847817 = 0,8915725423$)^{٤١}، والنسبة المُتبقية $(2e)$: $0,1084274577$ (حوالي 11%)؛ تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركة القمر مع الأرض حول الشمس، وهي تكافئ النسبة التي تجعل مداره بيضاوي **Ellipse**، وتكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتحقيق دورته المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما كانوا يعدون.



وبتحليل السرعة المدارية **Orbital Velocity** عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تخضع للتغير من نقطة لأخرى وتسمى السرعة القطرية **Radial Velocity**، ومركبة متعامدة على القطر تصنع معه زاوية قائمة وتسمى السرعة الزاوية **Angular Velocity**، وهي السرعة الأمامية العاملة بالنظام الأرض قمر المعزول؛ وقيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار باعتبارها مماسية، ولذا تسمى أيضاً السرعة المماسية **Tangential Velocity** (Zeilik & Smith; P17)^{٤٢}.

^{٤٠} <http://www.physicsclassroom.com/class/circles/Lesson-1/Acceleration>

^{٤١} http://www.studyphysics.ca/newnotes/20/unit01_kinematicsdynamics/chp04_acceleration/lesson10.htm

^{٤٢} أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الأفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص ١٠٦).

^{٤٣} Zeilik & Smith; Astronomy & Astrophysics, USA, 1987, p.17

وقيمة السرعة الوسطية في المدار المرصود للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم ثانية^٣، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم ثانية تُحقق القياس؛ حيث تكون السرعة المُجردة للقمر في النظام الأرض قمرى المعزول: $١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ \times ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣ = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣$ كم ثانية، وهي قيمة افتراضية استنتاجية مرجعها متوسط السرعة في المدار المرصود؛ يفرضها شرط تحقق القياس باعتبار سكون الحركة حول الشمس: (مِمَّا تَعُدُّونَ)، ويُمكن الحصول على نفس النتيجة باستبعاد نسبة التغير (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧؛ من قيمة السرعة الوسطية للقمر.

وزمن دورة للقمر بالنسبة لنجم: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يوماً \times ٢٤ ساعة \times ٦٠ دقيقة \times ٦٠ ثانية = ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية؛ إن المسافة المُجردة التي يقطعها كل دورة: السرعة المُجردة \times زمن دورة = $٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ \times ٢٣٦٠٥٩١,٥ = ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩$ كم؛ وفي ألف سنة (١٢ ألف دورة): $٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ \times ١٢٠٠٠ = ٢٥٨٣١٣٤٧٢٣$ بليون كم، إن قيمة سرعة الضوء = ٢٥٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم \div $٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦$ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم ثانية^٤، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائياً، بينما القيمة المُستخدمة عملياً في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم ثانية^٥.

وليس الغرض بلوغ القيمة المُتفق عليها فيزيائياً عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس؛ خاصة أن جميع معايير حركة القمر حول الأرض وسطية بناء على الرصد لمدد طويلة، وليست بدقة قيمة سرعة الضوء؛ بل وحتى قيمة سرعة الضوء نتيجة إحصائية لعدة قياسات، وقد تكون أعلى قليلاً في الفضاء أو الفراغ التام، ولكن الغرض هو التلليل على أن علاقة اليوم والألف سنة في بيان سرعة فُصوى مُقدرة، وأنها مُدخّرة كآية في عصر العلم على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته.

ولم ينتهي دور القيد (مِمَّا تَعُدُّونَ) عند حد تجريد مدار القمر من الزيادة الظاهرية المُتضمنة نتيجة الحركة حول الشمس؛ وإنما يُقيم علاقة ثابتة كلا طرفيها في نظام معزول: الحركة المُجردة للقمر حول الأرض والقيمة الثابتة لسرعة الضوء بالفراغ، وهي تكشف وحدة الأرض والقمر مع الشمس في الأصل ومادة التكوين ونظام الحركة منذ نشأة النظام الأرض قمرى، لأن السرعة الابتدائية تظل محفوظة في نظام حركة التابع حول المتبوع؛ طالما ظل معزولاً عن التأثير الخارجي.

والدلالة الضمنية كذلك أنه بخلاف ما يعنون بالعين المُجردة؛ مدار القمر ببيضاوي نو بعد أكبر، وكذلك كل الأفلاك؛ لأن (مِمَّا تَعُدُّونَ) تعني من ضمن عدّكم أو الذي تُعدُّون؛ فتشمل كل ما يتصورون ويتوهمون من الحركات الفلكية، ونظيره التعبير التصويري: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ٣٨: الزخرف، حيث يستقيم حملهما على المسافة بين أبعد نقطتين في المدار البيضاوي للأرض حول الشمس؛ وتكافئ البعد الأكبر، فتأمل كيف أدى شرط القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) على بساطته جُملة وظانف دلالية؛ باعتبارها براهين على التقدير ووحداية القدير!.

^{٤٣} Laros Astronomy, p.142.

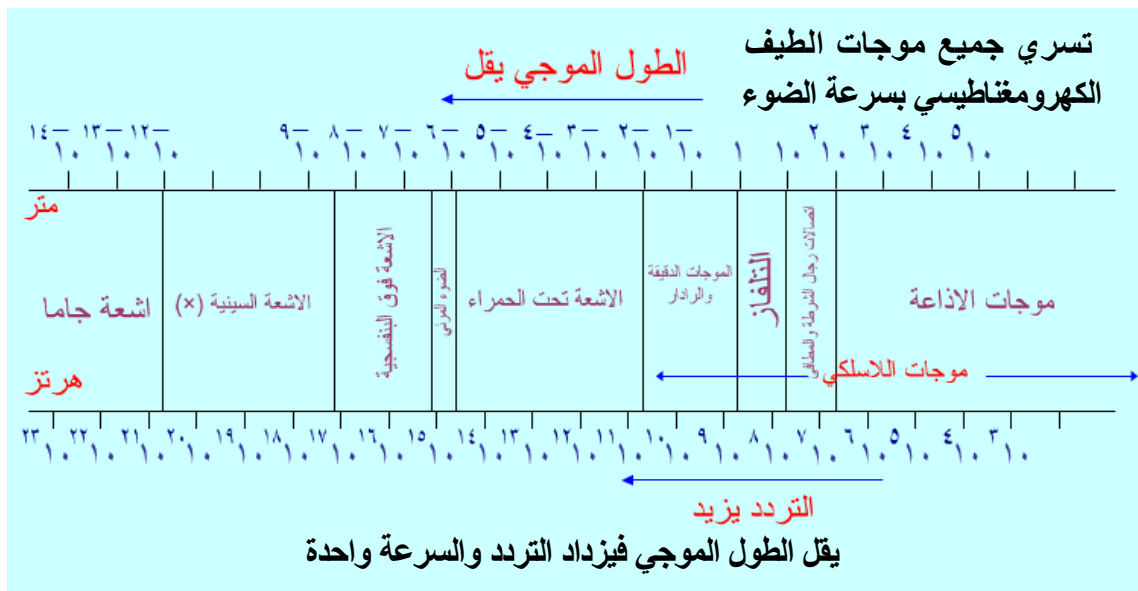
^{٤٤} /http://www.speed-light.info

^{٤٥} موسوعة أكسفورد ص ٣١٦.

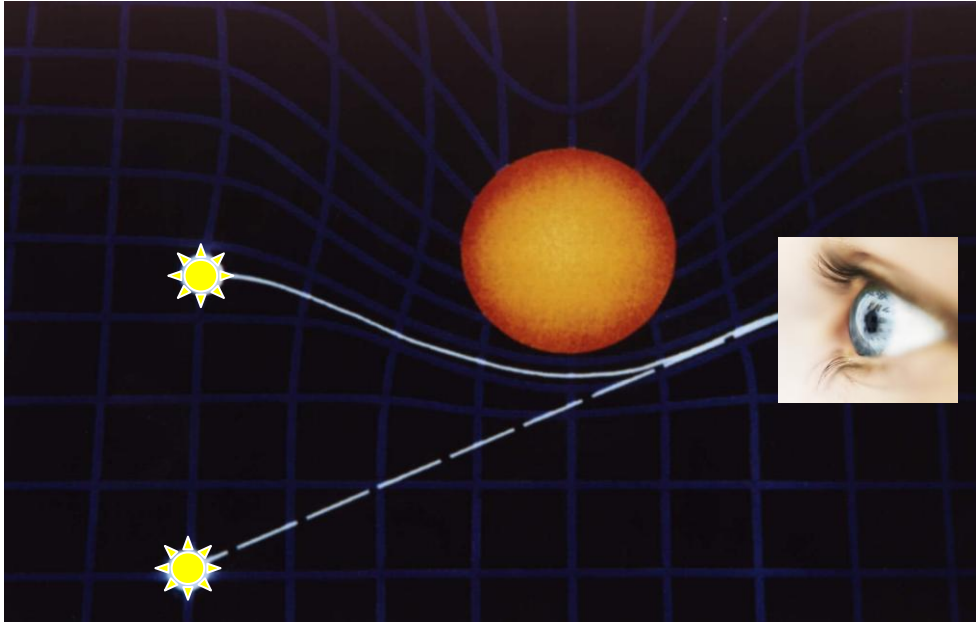
[٢] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لزيادة سرعته كلما اقترب، وكان الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسما وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار لكم من الطاقة يثبت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة لكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمه بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدتها معا تحت مسمى الموجات الكهرومغناطيسية.



وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافياً وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاعف طولُه وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالآثر لحظياً وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحيت فكرة أن الكتلة (M) هي طاقة (E) Energy (E = Mc²). مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة (E = Mc²).

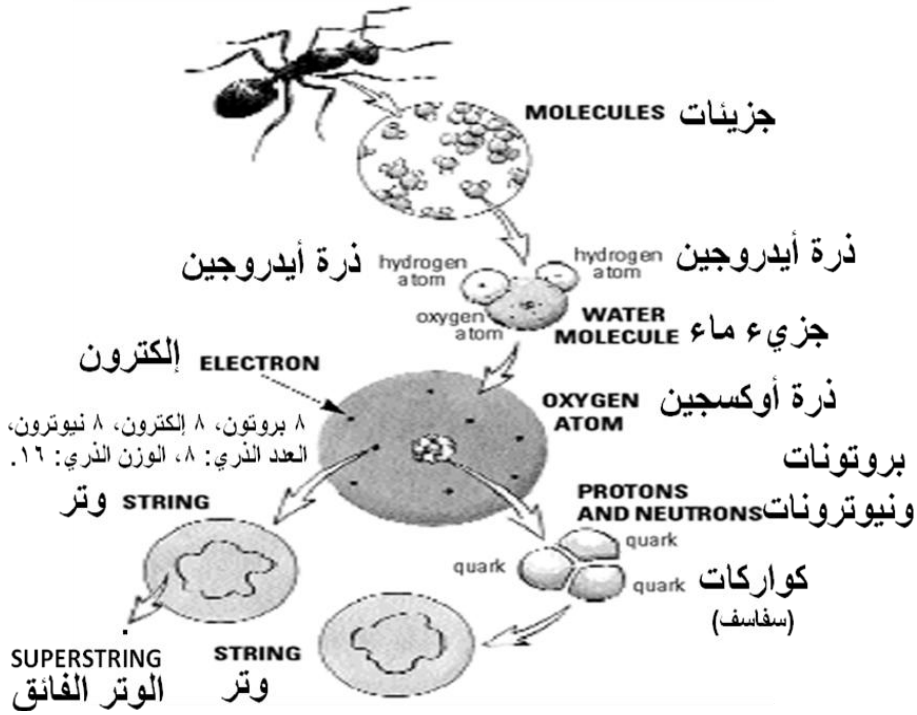


وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة **General Relativity**؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان و كليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معاً بمصطلح الزمكان **Space-Time** تعبيراً عن الفضاء؛ ويُحدث فيه كل جرم ثقراً حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المرّن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني **Curved Space** يُجبر مسار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد **Karl Schwarzschild** فكرة الثقوب السوداء **Black Holes** استناداً على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيداً من التأييد؛ وأعطت إحياءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان **Alexander Friedmann** فرضية تمدد الكون استناداً لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر **Georges Lemaître** فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل **Fred Hoyle** ساخرًا في برنامج إذاعي في محطة **B.B.C.** الاسم الذي شاع لاحقاً: الانفجار الكبير **Big Bang**؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة **Steady State theory**.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل **Edwin Hubble** أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صغير قطار تتضاغط الموجات بقدمه فيصبح حاداً وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر **Doppler phenomenon**، فاستنتج أن الكون قبل تمده كان في الماضي منحصراً في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية **Background Radiation**، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ **Inflation** كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.



وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمات الرئيسية في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفساف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضالة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضالة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضالة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

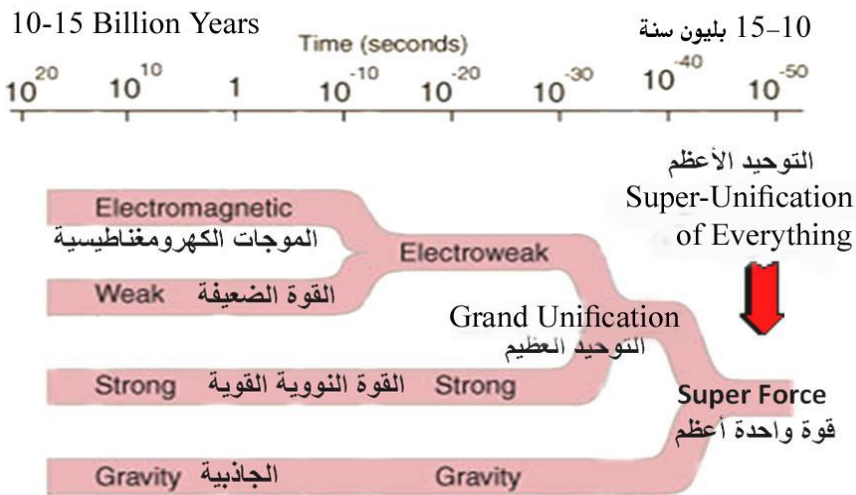
وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوجَد بين القوى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُنقَّنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنوع لا يُعرف حدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيوترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدريك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنة العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسَميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغاً، وبنية الكون معارج تنموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالمسكة تسبح في الماء، وكان الكون كله خشبة مسرح تُعرض للفظين ملحمة الخلق المَحْبُوك باتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي *The Intelligent Universe*، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم *The Grand Design* بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن *Brief History of Time*؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية *Amino Acids* التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوجَّهة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالاً مُستحيلًا؛ مثل احتمال قيام فرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام *Order* لا تَصْنَعُهُ فوضى *Chaos* والصدفة لا تفسره؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فلم كانت دائماً في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنوع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد *Atheism*، وليس إلا مشينة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بعلم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقداً بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحَقِّقِينَ، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المتقن المحبوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تحلّى بالإيمان".

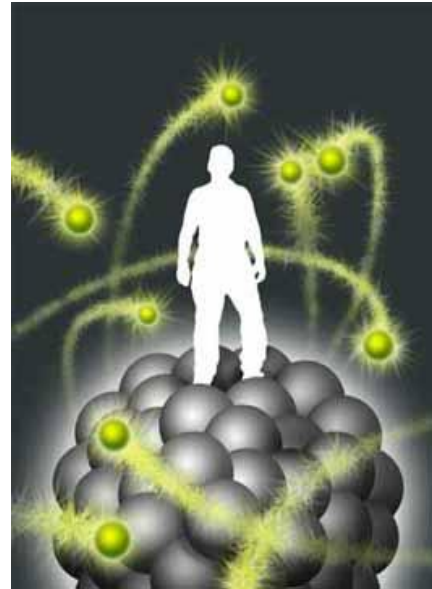
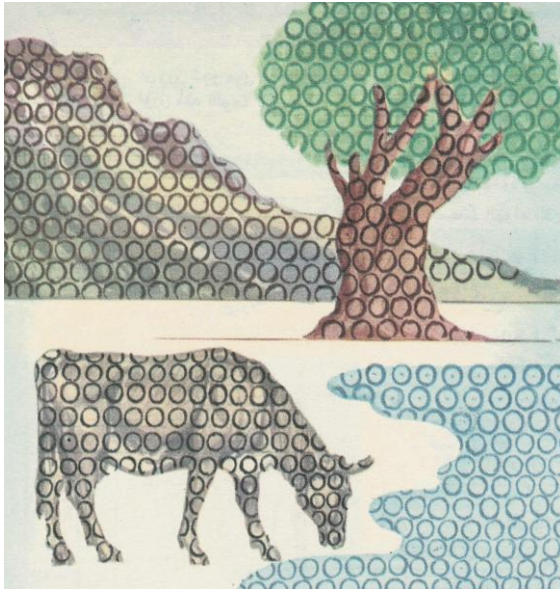


وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢ السجدة: ٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإنفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها التقدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: *Super-Unification of Everything*؛ وتسمى القوة الأعظم *Super Force*، كان لإنفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إنفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهاً للأمر بكلمة: (كُن).



الشيخ طنطاوي جوهرى
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهرى: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"^{٤٧}، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد خلق الله العالم من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"^{٤٨}).



تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنة، وأصلها جميعاً برجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيراً منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المذهل: **(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)** وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّرٌ في نظام Order؛ ومأمور ينطق بأمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهرى: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمته بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علماً"^{٤٩}، "إن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلي لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"^{٥٠}، "فما هذا العالم كله إلا حركات"^{٥١}، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"^{٥٢}، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل بنيته وأساس خلقه الحركة في عجل: **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ)** ٢١ الأنبياء: ٣٧.

^{٤٧} طنطاوي جوهرى؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢/ ١٨٠).

^{٤٨} طنطاوي جوهرى؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦١).

^{٤٩} طنطاوي جوهرى؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢١/ ٢٥٩).

^{٥٠} طنطاوي جوهرى؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٤/ ٩٣).

^{٥١} طنطاوي جوهرى؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٠/ ٣٢).

^{٥٢} طنطاوي جوهرى؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١١٥/ ١٨٨).

[٣] التفصيل الدلالي

(١) نهاية الكون تقترب بأقصى سرعة مُقدرة:

في النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧؛ يتعلق الوعد هنا ابتداءً باليوم الأخير، حيث يهلك كل شيء؛ ويبعث الإنسان بعد الحساب في عالم جديد، وفي القرآن الكريم: ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾ ٨٥ البروج: ٢، ﴿هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ٣٨ ص: ٥٣، ﴿إِنَّمَا تُوَعَدُونَ لَصَادِقٍ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٥١ الذاريات: ٥٥، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٩٧، إن الأمر قد صدر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تقوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

ولا نرى في الكون سوى الماضي بسبب سرعة الضوء المحدودة، والأحداث الكونية الآتية غيب، وأمر الساعة القادم بالعذاب سرعته تماثل سرعة ضوء البرق في جو الأرض؛ بل هو أسرع قليلاً في الخلاء، فلا يحتاج مزيد استعجال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦ النحل: ٧٧، قال الواحدي: "يصف سرعة.. الإتيان بها"^{٥٣}، وقال الشوكاني: "ليس هذا من قبيل المبالغة؛ بل هو كلام في غاية الصدق"^{٥٤}.

هذا هو إذن الوعد الحق؛ نذير الرسل للأمم، والمُعَن اقتربه صريحاً: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٩٧، إن الأمر قد صدر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تقوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

(٢) تشبيه الذات العلية لا يعني التحيز ولا الندية:

والتعبير ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ لا يعني التَّحِيْزُ وتحديد مكان ولا النَّدِيَّة؛ فالجليل مُستعلي عن مشابهة ما خلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢ الشورى: ١١، فهو إذن أسلوب بياني تمثيلي بليغ لتقريب المعاني تصويراً لدلالات يَفْتَرُّهَا السِّياق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣ الرعد: ٨، ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤ القمر: ٩ و ٥٠، قال القماش: "إياك أن تفهم من (العندية) أنها عندية المكان؛ لأن المكان مُحَيَّر، وربنا عز وجل لا يتحيز في مكان"، وفي سياق بيان قيمة واحدة ثابتة مقدرة للانتقال في الكون أجمع؛ العندية ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ تعني في تقديره تعالى وعلمه بتدبيره في العالم كله، قال محمد سيد طنطاوي: "في تقدير الله تعالى"، وقال أبو حيان: "المراد من العندية العلم"^{٥٥}، وقال الألوسي: "(أي) في حكمه"^{٥٦} و^{٥٧}، وقال الشوكاني: "وقضائه"، وقال الشعراوي: "(لأن) الله جل جلاله لا يَحْدُهُ زمان ولا مكان..، وقرأ (إن) قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾".

^{٥٣} أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (١٣/٧٥).

^{٥٤} محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٣/٢١٨).

^{٥٥} أبو حيان ٣٦٢١٥.

^{٥٦} تفسير الألوسي ٣٢٧١.

^{٥٧} فتح البيان في مقاصد القرآن للفتوحجي (٦/٢٢٦).

فلفظ (إِلَيْهِ) إذن لا يعني في حق الذات العلية التحيز والتجسيم وتحديد مكان؛ وإنما يُخبر عن فناء العالم وعودة الأمر كله للمجازي يوم الحساب على الأعمال وحده تعالى؛ بياناً لنفاذ مشيئته تعالى ووحدانيتها، قال الألوسي: " (وهذا الوجه) معنى لائق به تعالى مجامع للتنزيه مُباين للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله"^{٥٨}، وقال الواحدي: " **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**.. كقول إبراهيم: **﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾**؛ أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه، وقال ابن عطية: " وفي القرآن منه كثير نحو قوله تعالى: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾**، وقوله تعالى: **﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾**، وقوله تعالى: **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾**، وقوله تعالى: **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾**؛ وهذا كله بريء من التحيز"^{٥٩}.

وبالكاد تومئ الفيزياء لانكماش الكون وطي الأطراف، لاكتشاف مادة غير منظورة بكميات هائلة تُرَجَّح انكماش الكون سموها المادة السوداء Black Matter، ولسرعة الضوء المحدودة؛ الأحداث الآتية في الأطراف البعيدة للكون غيب لا يمكن لغيره تعالى إدراكه، ولا نُعَين منها سوى ما حدث في الماضي البعيد، وعناقيد النجوم حزم تُشكِّل طوابق اللبنة الكبرى للكون؛ حتى أقصى ما يُمكن رصده وإدراكه، والمجرات العظمية تبدو بالطيف في ابتعاد، فتعني أن الكون كان يتوسع في الماضي ولا تعني أنه يتوسع الآن بلا انتهاء؛ وقد قضت الكشوف على وهم سرمدية المادة أو الحالة الثابتة Steady State Theory، ولو كان الكون ينكمش ولبناته الكبرى تقترب؛ فلن يُخبرنا إذن بعلمات النهاية إلا الطرف الأقرب.

والطرف الأقرب للكون ينذر بالانكماش الآن، فأقرب مجرة؛ المرأة المسلسلة Andromeda، كمثل تبدو مقترية بسرعة قُدِّرَت بحوالي ٣٠٠ كم/ثانية^{٦٠}، مع أن الضوء المرصود الآن قَدِمَ منها منذ ما يزيد عن ٢ مليون سنة ضوئية، واقترابها علامة تنذر بقرب وصول قوى الدمار بَعَثَةً لا يسبقها نذير للسرعة القصوى التي لا تَتَطَلَّبُ مزيد استعجال، والقرآن الكريم قد أعلن مراراً بصريح العبارات أن العالم كله في احتضار؛ وأن على الفطين أن يَسْتَعِدَّ وَيَتَزَوَّدَ لِلرَّحِيلِ، وفي سياق الجزم والتقرير لا التشبيه للتقريب؛ يقطع القدير بالنبأ: **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾** محمد: ١٨؛ **﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾** النحل: ١، والآفاق إذن مُنْقَلَةٌ كَالْحُبْلَى عَلَى وَشَكِّ الْوَضْعِ: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** الأعراف: ١٨٧.

وفي النبأ: **﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾** هود: ١٢٣، أصل الرجوع العود والارتداد بعد ابتعاد، والقراءة (يُرْجَعُ) تُضَافِرُهَا قراءة الجمهور (يُرْجَعُ)، وكليهما مضارع يدل على حدث آني، فالمعنى يستقيم مع عودة الكون وانكماشه بعد امتداد؛ وهو يرجع لمدير الأمر كله، قال الإستانبولي: " **﴿يُرْجَعُ﴾**.. بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يردُّ (التدبير لمراده تعالى)، وبفتح الياء وكسر الجيم {يُرْجَعُ} بمعنى يَعُودُ (الأمر)"، وورود (الأمر) رديفًا للسماوات والأرض يجعله تعبيرًا بالأصل استجابة للأمر (كن)، وهو يعني أن الكل مُدَبَّرٌ مَأْمُورٌ منذ الابتداء؛ وأن الكل سوى الباري عارض زائل.

ولفظ (إِلَيْهِ) يَحْصُرُ فاعل عودة الكون لحاله الأول بالعلي القدير؛ ولا يعني التَحْيِيزُ وَالْمَكَانَ مخالفاً مبدأ التوحيد، قال الرازي: " حرف (إِلَى).. ليس الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَكَانَ بَلِ الْمُرَادُ انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ"، والوعيد بقرب خراب العالم توطئة للقيامة والحساب؛ يوافق مواضع تُنذِرُ بَأَنَّ النِّهَايَةَ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ، قال الراغب: " وقوله تعالى: **﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾**.. كقوله تعالى: **﴿وَنُصِّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾**، وقال الشعراوي: " **﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾**.. في ذلك تنبيه لكل إنسان؛ ليعمل مُسْتَهْدَفًا لِلنَّجَاةِ.. يوم القيامة"، ولفظ (كُلُّهُ) تأكيد لعودة الكون أجمع لحاله الأول بدون أدنى زيادة في مادته ولا نقصان، فيوافق وصف الكون في الفيزياء كنظام مُعْلَقٌ طاقته ثابتة بلا تغيير؛ فأين إذن من أثر لشريك مع الواحد الأحد القدير!.

^{٥٨} روح المعاني ج ٢١ ص ١٢٢.

^{٥٩} ابن عطية السجدة ٥.

(٣) سرعة الضوء ثابت كوني:

كانت السنة عند العرب والعبرانيين تقوم على سير القمر؛ قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل.. (و) السنة مُعَلَّقة بسير القمر"^{٦١}، و(الألف سنة) زمان يُعَبَّرُ كمعهود القدماء عن مسافة تُقَطَعُ في زمن، فيعني في سياق بيان السرعة؛ مسافة فلكية هائلة لا نظير لها على الأرض، هي الأنسب لقياس الحد الأعلى لسرعة الانتقال بالكون، قال الألويسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"^{٦٢}، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، والعذاب بالأمر القادم بسرعة الضوء: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾؛ هو نفسه العذاب الذي يستعجل قدومه الغافلون استخفافاً، وهو قادم بسرعة لا مزيد عليها فلا تحتاج مزيد استعجال، ومقدارها المُقَدَّرُ للانتقال: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، فهو إذن مقدار سرعة الضوء، قال القماش: ﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.. كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾"^{٦٣}، وقال القماش أيضاً: "في (هذا القياس) لا تتجاوز.. مسافة اليوم بأقصى سرعة.. مسافة ألف سنة بحركة ما تُبْنَى على حركته السنة، ويصلح الوصف ﴿مِمَّا تَعْدُونَ﴾ لتمييز حركة القمر المتضمنة سيقاً والتي تُبْنَى عليها السنة، ولا يصلح أن يكون تمييزاً للسنة القمرية؛ لأنه يُحَدِّدُ مُخْتَارَ من مُتَعَدِّدٍ؛ وهم لم يستخدموا غيرها في التقويم، وهو يعني: من الذي.. تَظُنُّونَ؛ وليست السنة محل ظن، وبذلك يشترط السياق لتعريف السرعة القصوى؛ أن تكون حركة القمر وفق ما.. يَظُنُّونَ (لأنه الأنسب لقياس قيمة ثابتة)؛ وإن كان الواقع بخلافه"^{٦٤}.

والسنة عند العرب تقوم على سير القمر؛ والتقويم القمري هو المُعْتَبَرُ في التشريع، قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. (و) السنة مُعَلَّقة بسير القمر"، وفي القياس لا تتجاوز مسافة اليوم بأقصى سرعة مسافة ألف سنة بسير القمر، ويصلح القيد ﴿مِمَّا تَعْدُونَ﴾ تمييزاً لحركته المتضمنة سيقاً؛ جعلها وفق ما كانوا يَظُنُّونَ من سكون حركة الأرض حول الشمس، لإقامة معادلة طرفيها في نظام معزول؛ ومعنى الظن يفيد أن الواقع بخلافه، وحد سرعة الانتقال بالكون لا يزيد عن: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، ولا يمكن لمادة أن تبلغه ولا لقوة أن تتجاوزه.



لم يُقدِّم الدليل الأول على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية؛ إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح أولاس رومر للمرة الأولى في قياسها.

والمُتَبَادِرُ أن سرعة الضوء لا نهائية Infinite؛ ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي زمن الوحي التصور أنها مُقَدَّرَةٌ مَحْدُودَةٌ؛ فلم يُقدِّم الدليل الأول على أنها محدودة إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر *Olas Romer* من قياسها عن طريق ملاحظة تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري خلفه بفارق زمني عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه في مدارها حول الشمس، لأن ضوء تلك الأقمار يحتاج لفترة أطول مما يعني أن سرعة الضوء غير لحظية، واعتماداً على التقنيات المُتَّاحَة وقتئذٍ والمعرفة بطول القطر الأكبر لمدار الأرض كانت النتيجة حوالي: ٢٢٧ ألف كم ثانية، وتوالت القياسات ثلاثة قرون؛ وأخيراً عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات ببيريس اعتمدت القيمة: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم ثانية^{٦٥}.

^{٦١} الرازي حيان في تفسير الآية ٣٦ من سورة يس.

^{٦٢} تفسير القرطبي.

^{٦٣} تفسير الحاوي للقماش (١٠٣/٤٤٢).

^{٦٤} تفسير الحاوي للقماش (١٠٧/٣٥).

^{٦٥} موسوعة أكسفورد ص ٣١٦.

قال ابن كثير: "وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ...؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾"^{٦٦}، والمماثلة كافية لتدفع القول بأن الملاك ينزل بالأمر ٥٠٠ سنة ثم يرجع ٥٠٠ سنة؛ لأن النص الأول خالي من الاشتباه، والقياس عند ابن عباس هو: "مقدار سير الأمر"^{٦٧}، ونقل السيوطي عن قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"^{٦٨}، وقال الزمخشري: " (وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وأصاب ابن عباس عين النبع بمعوله بقوله: "سرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"^{٦٩}، وقال الألوسي: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"^{٧٠}.

وتعداد السنين عند العرب كان قائمًا على حركة القمر بمنزله النجمية: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ يونس: ٥؛ والسنة أساسها حركة القمر ليطم اثنا عشر شهرًا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٦، وفي القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ قال النابلسي: "إن القرآن يخاطب أناسًا يعتمدون السنّة القمرية؛ حيث إن القمر يدور حول الأرض كل شهر دورة..، (ولو) عرفنا المسافة التي يقطعها القمر.. في رحلته حول الأرض في ألف عام (فبناءً على أن).. القمر يقطع في ألف عام ما يقطعه الضوء في يوم واحد.. (فبالتالي نعرف) سرعة الضوء في الثانية..، وهذه السرعة هي أعلى سرعة في الكون..، (وباختصار:) إن المسافة التي يقطعها القمر في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنة قمرية تساوي المسافة التي يقطعها الضوء في يوم أرضي واحد"^{٧١}، والقمر كبقية الأجسام حركته نسبية فتتطلب تحديد إطار؛ فهو يدور حول الأرض كما لو كانا في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ وفوق ذلك يدور معها حول الشمس، والقيود (مِمَّا تَعُدُّونَ) يُحَدِّدُ بإصرار حركة القمر حول الأرض فحسب؛ وفق ما كانوا يَعُدُّونَ وَيُظَنُّونَ طبقًا لنموذج مركزية الأرض Geocentric Model، وكان الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس، وحركتهما بالنسبة للنجوم مُجَرَّدَةٌ في نظام معزول؛ مُقَابِل سرعة الضوء التي لا تتحقق إلا بالفراغ في نظام معزول، وهي صيغة معادلة بجعل الطرفين في نظام معزول؛ كما في كل معادلات الحركة في الفيزياء.

والتشبيه في سياق تساوي المسافة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾؛ يعني أن المسافة في يوم تُقَارِبُ مسافة الألف سنة وتمائلها ولا تتخطاها، لأن المشبه لا يتجاوز المشبه به في وجه الشبه؛ كقولك فلان كالأسد، أي يُقَارِبُهُ وَلَا يُفَوِّقُهُ في الجسارَة، وفي التعبير: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ لفظ (كان) لا يعني الماضي في سياق دوام التدبير؛ وتقديره (كان) (دوما كذلك)، و(المقدار) في اللغة: المقياس والحد، فقد يقل قليلاً محافظاً على إطار المماثلة؛ لكنه لا يزيد ويتجاوز الحد، وكل معايير حركة القمر وسطية وليست ثابتة؛ وهذا لا يستبعد اعتمادها كمقياس لإثبات المماثلة؛ خاصة أن القمر أقرب الجيران وحركته بانتظام، والتعبير (يَعْرُجُ) لبيان انحناء المسار يفيد أن الفضاء ليس فراغًا تامًا ليسري الضوء كخط مستقيم وتبلغ سرعته أعلى حد، والقيمة بالفيزياء: ٢٩٩٧٩٢،٤٥٨ كم/ثانية؛ لكن القيمة المستخدمة عملياً بالقياسات الفلكية هي حوالي: ٣٠٠ ألف كم/ثانية، وسرعة الضوء كحد للانتقال تختص بالعالم المادي ولا تمنع وجود سُبُل تواصل أسرع؛ وإنما هي نتيجة قياسات لمُدْرَكَاتٍ حِسِّيَّةٍ، وسرعة الضوء هي نفس سرعة كل أشكال الطيف كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو والتلفزيون؛ ومن الجائز أيضاً موجات الجاذبية، وأي جسيم ذو كتلة موجبة لكي تبلغ سرعته قيمة سرعة الضوء سيحتاج لطاقة لا نهائية؛ ولا يمكن إذن لجسيم بلوغ سرعة الضوء إلا إذا كان معدوم الكتلة كجسيم الضوء؛ ولا أن يتجاوزها إلا إذا كان سالب الكتلة، لكن الافتراض بوجود جسيمات سالبة الكتلة أسرع من الضوء تسمى تاكيونات Tachyons؛ ليس إلا تَحْمِينِ وافترض نظري لم يثبت.

^{٦٦} تفسير ابن كثير تحقيق سلامة ج ٥ ص ٤٤٠.

^{٦٧} الإتيان ج ٢ ص ٧٦.

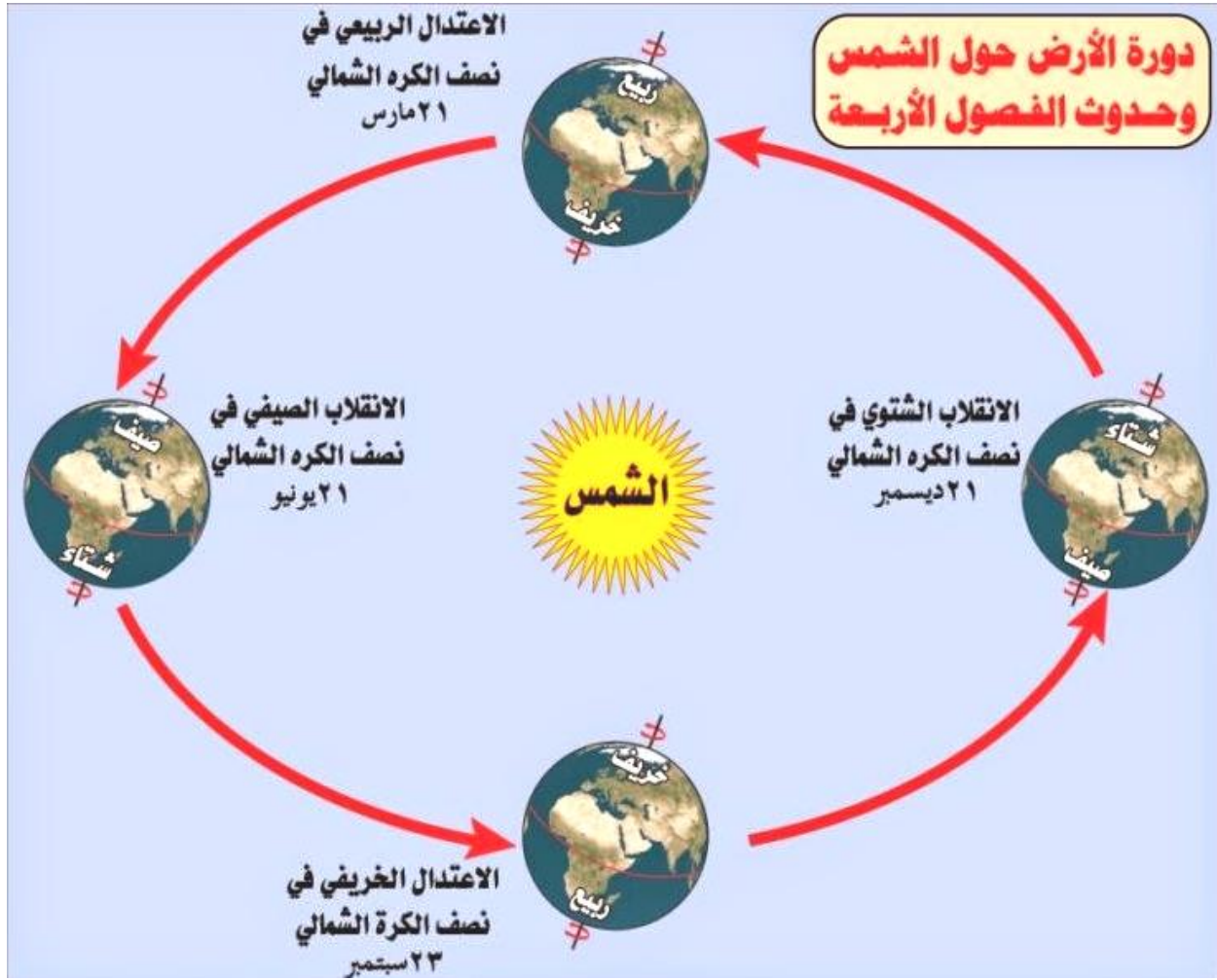
^{٦٨} الدر المنثور ج ٦ ص ٥٣٨.

^{٦٩} تفسير القرطبي (١٤ / ٨٧).

^{٧٠} الألوسي ٥٨١٢٩.

^{٧١} موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمجد راتب النابلسي (٢٢ / ٢).

(٤) الأرض في حركة دائمة طائفة للتقدير:



في التمثيل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾
 ٤١ فصلت: ١١؛ الإتيان قرين الحركة وكان جو السماء حولها دخان يتبدد ولا يلزمها سيرها حتى هبطت حرارتها واستقر
 الجو فلازمها سيرها، وشرط قياس السرعة المطلقة في الكون: ﴿مِمَّا تَعْدُونَ﴾؛ قد جعل المقياس في نفس المجال المعزول
 للمقاس، وراعى نسبية حركة القمر، وأفاد أن الحركة الفعلية للقمر والأرض بخلاف ما يعدون ويتوهمون، لأنه يعني: مما
 تظنون؛ أي: "تحسبون" ^{٧٢} و"تقدرون" ^{٧٣} و"تعقدون" ^{٧٤}، قال طنطاوي جوهرى: "أرضنا إذن دائرة غير دائرة؛ نحن نراها
 ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ" ^{٧٥}، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها، والقمر ملتزم بها؛ ويدور
 عليها ومعها على الشمس" ^{٧٦}، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل" ^{٧٧}.

٧٢ القرطبي.

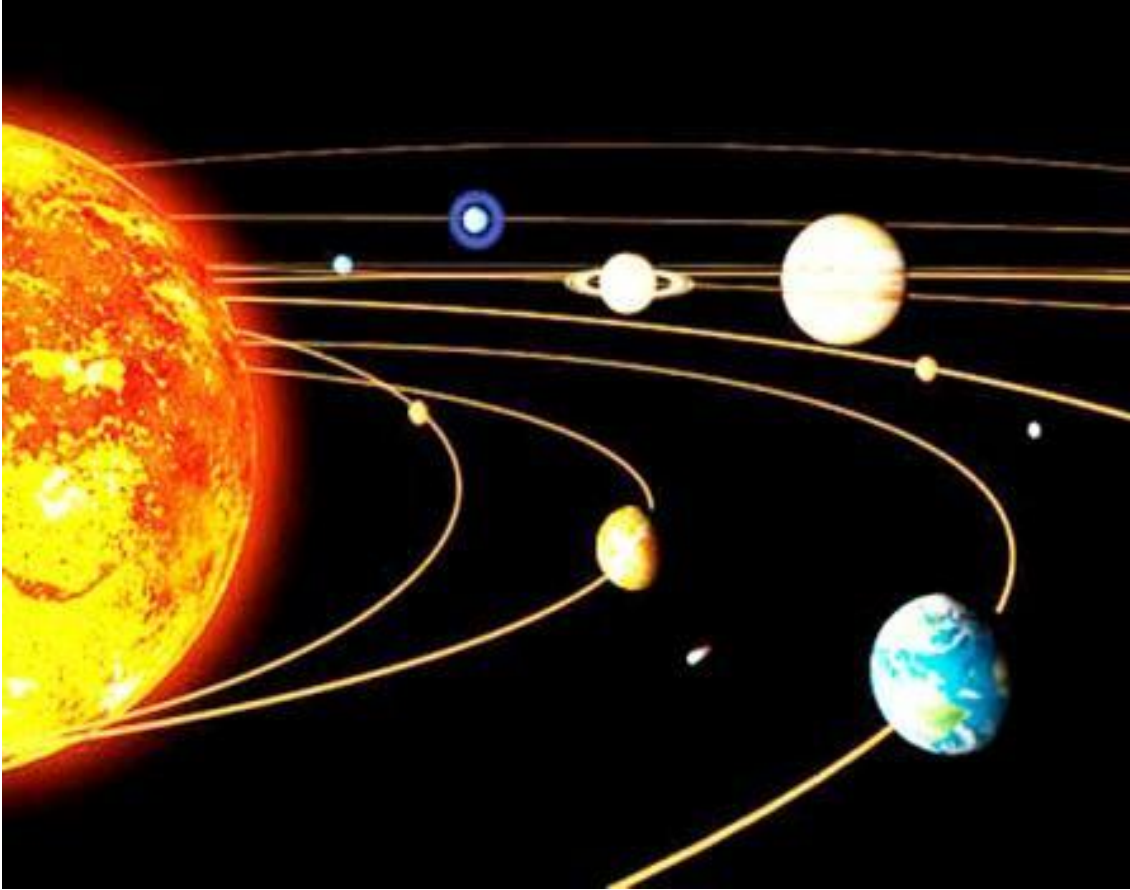
٧٣ المنتخب.

٧٤ ابن كثير.

٧٥ تفسير الجواهر ٢٤٢١٩.

٧٦ تفسير الجواهر يونس ٥.

٧٧ تفسير الجواهر ٢١١٦.



يقول العلي القدير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠، قال القاسمي: "التنوين في لفظ كُلُّ عوض عن الإضافة للأجرام، والمعنى كل واحد من أجرام السماء كالشمس والقمر؛ في فلك خاص به يسبح بذاته"^{٧٨}، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"^{٧٩}، وأن: "للثوابت حركة"^{٨٠}، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام؛ وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"^{٨١}، وكل البشر يُعَابِتُونَ آيات السماوات كالشمس والنجوم تَمُرُّ عليهم وهم على الأرض التي تبدو ساكنة؛ ولكن القرآن يجعل سكون الأرض نسبي دالاً على حركتها السنوية واليومية بإعلانه صريحاً أنهم هم الذين يَمُرُّونَ على آيات السماوات وهم على ظهرها؛ كما يَمُرُّونَ على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون: ﴿وَكَايِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥، وفي تفسير الميزان: "المعنى أن هناك آيات كثيرة سماوية وأرضية تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم..، ولو حَمِلَ قوله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على التصريح دون الكناية؛ كان من الدليل على.. حركة الأرض..، فإننا نحن المَارُّونَ على الأجرام السماوية بحركة الأرض الانتقالية والموضعية (أي السنوية واليومية)..، لا بالعكس؛ على ما يُخَيَّلُ إلينا في ظاهر الحس"^{٨٢}.

^{٧٨} تفسير القاسمي.

^{٧٩} تفسير الألوسي.

^{٨٠} تفسير الألوسي.

^{٨١} تفسير ابن عاشور.

^{٨٢} تفسير الميزان (١٤٦/١١).

[٤] الكون عارض وعمره محدود

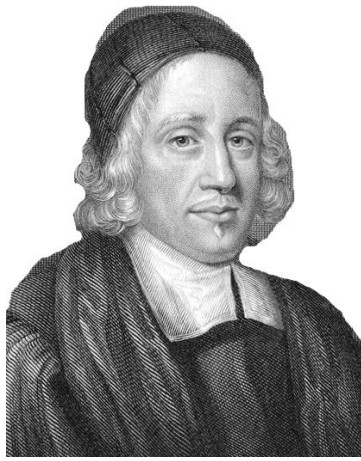


في عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هبل Edwin Hubble ملاحظة كان لها أثر كبير في فهم طبيعة الكون، وهي أن معدل تباعد المجرات البعيدة يتزايد مع زيادة البعد؛ وفق قيمة تبدو ثابتة، سميت بثابت هبل Hubble Constant، فالضوء القادم منها ينزاح في الطيف Spectrum ناحية الجانب الأحمر ذي الموجات الأطول، وهي أشبه بصوت القطار المتباعد تتخلل موجاته وتطول بعكس تضاعفها وقصرها عند قدومه؛ فاستنتجوا أن الانزياح نحو الجانب الأحمر Red Shift في طيف تلك المجرات يعني تباعدها، والعودة إلى الخلف تعني أن كل مادة الكون كانت في أجزاء قليلة من الثانية الأولى مضغوطة في حيز ضئيل في حالة تمدد فجائي أشبه بانفجار مهول، لذا سميت البداية تشبيهاً بالانفجار العظيم Big Bang.

وبناء على ما هو معلوم في الفيزياء؛ انضغاط مادة الكون يُؤد حرارة هائلة يصاحبها إشعاع مميز أمكن توقعه نظرياً، وفي عام ١٩٦٤ رصده من كل اتجاه بغير قصد أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ولسون Robert Wilson، وسمي بالخلفية الإشعاعية Background Radiation، وبهذا أضيف دليلاً حاسماً قائماً على الرصد لا الافتراض النظري والتخمين؛ على أن للكون بداية وتأييد مفهوم الانفجار العظيم، هكذا أثبتت الفيزياء أن عمر الكون محدود قاطعةً بأنه عارض وله ابتداء؛ يُعلن للفطين عن موجود أزلي أبدع الوجود أحد قدير، ولم يستطع هاوكنج Hawking ذو الميل للإلحاد إلا أن يقول: "إن كوناً ذو ابتداء يستحيل أن يكون بلا خالق أوجده"^{٨٣}، والتصميم المُبدع والنظام Order الدال على التقدير بحكمة والتدبير بقصد؛ أجبره أن يقول أنه: "عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع"^{٨٤}، أي: لو لم يكن نظام ومقدمات تؤدي لنتائج مُحددة مهما تكرر الحدث؛ ما وُجِدَت قوانين ليكتشفها العلم ويثبت انعدام الفوضى Chaos.

^{٨٣} A Brief History of Time, St. Hawking, P.122.

^{٨٤} A Brief History of Time, St. Hawking, P.140.



جون لايفتوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)



جيمس أوشر James Ussher
(١٦٥٦-١٥٨١)

وكانت البدايات الأولى في القرن السابع عشر لتقدير عمر الكون متواضعة؛ فقد استنبط جيمس أوشر James Ussher في كتابه "استنتاج بداية خلق العالم من تاريخ الأحداث في العهد القديم" أن الكون قد خلق ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس جون لايفتوت John Lightfoot سنة ٣٩٢٩ ق.م، فنشأة الكون عندهما منذ ستة آلاف سنة بفارق ٧٥ سنة، بينما تتراوح التقديرات حالياً لعمر الكون بين ١٠ و ١٥ بليون سنة^٥، وأول الطرق "معادلة هبل": "عمر الكون = (سرعة الضوء × مليون) ثابت هبل"، وأساسها أن بلوغ سرعة تباعد المجرات قيمة سرعة الضوء يعني بلوغ البداية حين نشأ الكون مع بلوغ أقصى بعد ممكن المشاهدة، لكن التقدير قائم على كون بلا جاذبية؛ ولا يوجد يقين على أن معدل تباعد المجرات ثابت منذ النشأة، وبناء على رصد تغير ضئيل في الخلفية الإشعاعية؛ استنتج كارليس بينيت Charles Bennett القيمة: ١٣,٧٥ بليون سنة، وبناء على أن عمر الكون هو على الأقل عمر أقدم ما فيه؛ اتجهت الدراسات إلى رصد تحلل العناصر المشعة في أقدم النجوم، ومن الدراسات الرائدة والواحدة؛ تلك التي قام بها عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه بالتعاون مع فلكيين من عدة مراصد في فرنسا والسويد وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل، برصد تحلل اليورانيوم-٢٣٨ في أقدم النجوم، وكحد أدنى كانت النتيجة: ١٢,٥ بليون سنة؛ وكل الطرق الأخرى تُعطي قيم أعلى ولكن مع نسبة ارتياب أكبر، فأقصى بُعد إذن ممكن الرصد: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية على أقل تقدير، وللتبسيط: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)، وتسمى السنة الكونية Cosmic Year.

وكل مشاهدتنا للأبعاد السحيقة في الكون أحداث مضت منذ زمن بعيد، فليس توسع الكون إذن حدث قريب، وكلما نظرت بعيداً رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يُعد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيداً وقد يكون قريباً، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقاس أبعد مسافة مُمكنة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبا: سَأَلْ سَائِلٌ بَعْدَابٍ وَقَعِ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا المعارج: ١-١٠، والإيجاز اعتماداً على السياق عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَتْ بَإِيجَازٍ بَيْنَ قِيَمَتَيْنِ: (ألف سنة) و(خمسین سنة) أو (خمسین) في سياق أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس في منازلها، والتي لم تُعرف إلا حديثاً مع تطور علم الفلك، والقيمة (ألف سنة) مبنية على سير القمر في منازل النجمية، وإذا ضُمَّتْ إلى (يوم) عَبَّرَتْ بِإِيجَازٍ عَنِ قِيَمَةِ أَكْبَرِ سُرْعَةٍ لِلتَّنَقُّلِ فِي الْكَوْنِ؛ خَاصَّةً أَنَّهَا بِنَفْسِ النَّسَقِ: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) السجدة: ٥، وقبل أن تُقاس المسافات الكونية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن مناسبة؛ ترد القيمة (خمسین سنة) أو (خمسین) في سياق أكبر مسافة، لتعبر بإيجاز الحذف أو التنازع عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُماثل سنة؛ وتقديرها كما نعلم اليوم هو السَنَّةُ الْكُوْنِيَّةُ، والنتيجة أن أبعد مسافة مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

ولا يُمكن لكائن مَادِيّ ذو كتلة أن يرصد لحظياً طرفي قياس أقصى بعد للكون الشاسع الاتساع المُتغيّر الأبعاد ويَجُول فيه مُتّبِعاً مساراته المنحنية؛ إلا إن كان كائناً روحياً متحرراً من حواجز عالم المادة، وحتى الضوء الخالي من الكتلة سيستغرق عمر الكون ليعبر من طرف لآخر، وسيظل الأفق الأعلى يُرى بعيداً وهو قريب، لأن سرعة الضوء محدودة والناظر يُطالع الماضي البعيد، فناسب ذكر الملائكة والروح رُسُل الهداية والإنذار، والمراقبين المُتخفّين لتتّوين الأعمال في سياق التهديد بقرب اليوم الموعود؛ كشهود في القياس لما يبدو عليه للناس أقصى طرف للكون بخلاف الواقع المستور.

قال طنطاوي جوهرى: "ليس المراد المُدّة بل بعد المَدَى.. وقَدَم الملائكة لأتّهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة، (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"^{٨٦}، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها"^{٨٧}، وقال الشوكاني: "نُكِرَ هَذَا الْمَقْدَارُ.. لِغَايَةِ ارْتِفَاعِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ وَبُعْدِ مَدَاهَا"^{٨٨}، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنْتَهَى) السماء"^{٨٩}، وقال الألويسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها.. والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"^{٩٠}، وفي اللغة: "تعارج): حاكى مشية الأعرج، و(عرجه): ميّله، و(تعرج): مال، و(التعاريج) المنحنيات، و(العرجون) العنق المُعَوَج"^{٩١}، و"العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضاً"^{٩٢}، و(المعارج) جمع لاسم المكان مَعْرَج، كأدق وصف للأفاق المُميّزة بلبنات طبقات الأجرام؛ حيث تسري القوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى والأجرام منحنية دفع الفيزياء لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe.

وإصدار الضوء وكافة القوى في الفيزياء دفقات في آتات متعاقبة أجزاء أو كمّات؛ يحمل كل منها قدر من الطاقة يُميّزها، هذا هو مُنْطَلَق ميكانيكا الكم Quantum Mechanics، و(لمح) البرق يبدو دفقة واحدة ما تلبث أن تزول في أقلّ زمان، لكن العدول عن المفرد (لمحة)؛ فيه إيماءة إلى أن (اللمح) سيل مُركَّب، أي رتل من أجزاء متتابعة تسري في آتات متعاقبة، قال الرازي: "و) تِلْكَ الْأَجْزَاءُ كَثِيرَةٌ، وَالزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ لَمَحٌ الْبَصْرِ مُرَكَّبٌ مِنْ آتَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ"، وقال ابن عادل: "وَالزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ لَمَحٌ الْبَصْرِ مُرَكَّبٌ مِنْ أَزْمَانٍ مُتَعَاقِبَةٍ..، و(اللمحة) في زمان واحد من تلك الأزمان"، وفي المنار: "الْمَحَّةُ بَعْدَ اللَّمْحَةِ وَالْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ"، أي أن (اللمح) مُعَقَّبَات؛ والأساس (لمحة) تحدث في بُرْهَة ضئيلة؛ أي هُنَيْهَة.

وجو الأرض وسط مادي أكثر كثافة من الفضاء؛ لذا سرعة الضوء في الخلاء أسرع من لمح البصر في الجو، وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧؛ بيان يحصر العلم بالأحداث الآتية بالكون على التقدير وحده، و(الأمر) المُختص بساعة نهاية العالم يستقيم حمله على تقارب أطراف الكون وطى الصفحة المرئية وقرب اليوم الموعود؛ ففيه تَوَعُّد وتهديد للغافلين عن المصير، وإنذار لينتبه الفطين، والتمثيل في التعبير: (لمح البصر)؛ إيجاز لا يُخْرَجُ (اللمح) عن دلالاته على البريق اللحظي المفاجئ للبرق في التمثيل النظير: ﴿كَلَمَحٍ بِالْبَصْرِ﴾؛ ولا عن دلالة لفظ (البصر) على عين الإنسان كأداة للإبصار؛ خاصة مع التمييز بين الأبصار والضوء المباحث للبرق الذي يكاد أن يصيبها بالعمى اللحظي من شدة سطوعه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: ٤٣، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ البقرة: ٢٠، وفيه بيان في سياق التقرير لا التقريب؛ بأن قوى الدمار قادمة لا يدركها بشر لسعة الأبعاد، بأسرع قليلا من سرعة الضوء بالجو؛ حيث يتكون برق السحاب ويُشَاهَد، قال ابن عادل: " (اللمح) أصله من لَمَحَانَ الْبَرْقِ"، وقال الرازي: " (أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) .. الْمُرَادُ: بَلْ هُوَ أَقْرَبُ (أَي) .. أَسْرَعُ"، لبيان "سرعة مجيء الساعة"^{٩٣}، وقال الشوكاني: "ليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق"^{٩٤}.

^{٨٦} تفسير الجواهر لطنطاوي جوهرى ج ٢٤ ص ٢٦٠.

^{٨٧} تفسير البيضاوي ج ٥ ص ٣٨٧.

^{٨٨} فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٥).

^{٨٩} تفسير البغوي ج ٣ ص ٤٩٨.

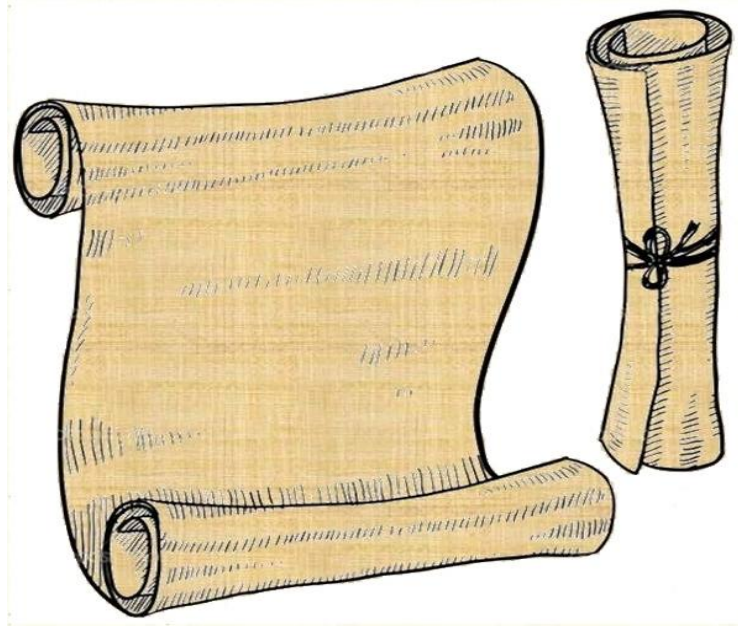
^{٩٠} تفسير الألويسي ج ٢٩ ص ٥٨.

^{٩١} المعجم الوسيط.

^{٩٢} تفسير الألويسي ج ٢٩ ص ٥٧.

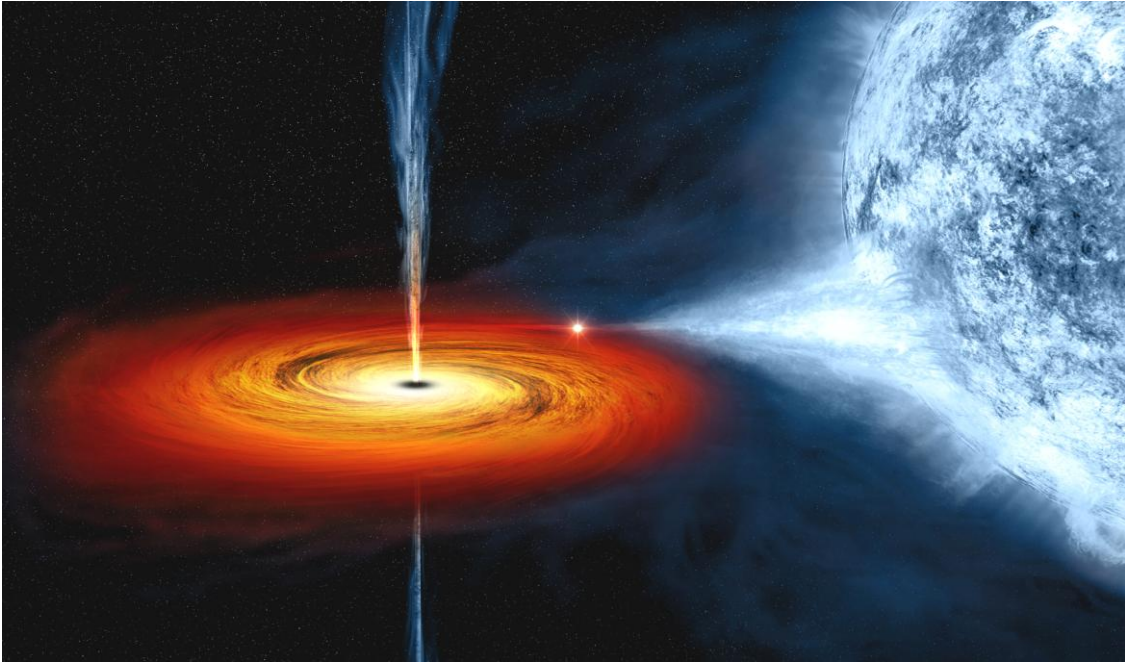
^{٩٣} التفسير الوسيط مجمع البحوث (٥/ ٦٥٨).

^{٩٤} فتح القدير ١٨٢١٣.

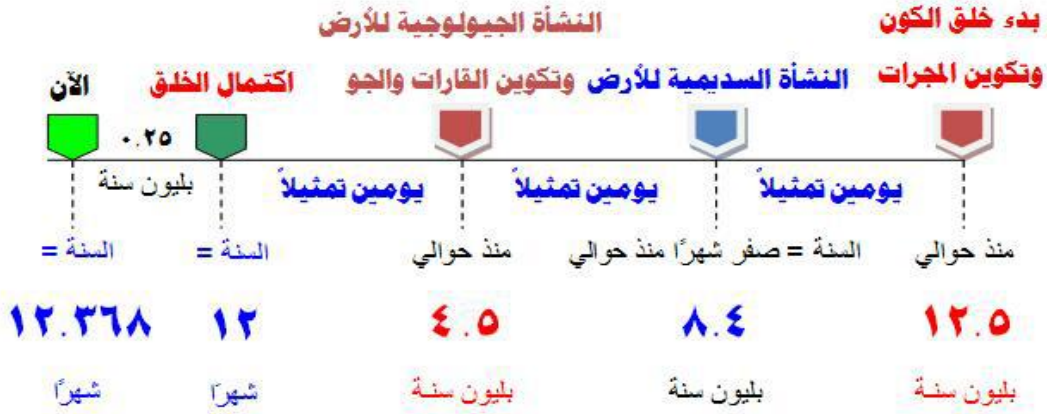


نهاية العالم وطي صفحة السماء؛ وتلاشي معالمها المرئية، أشبه بلف المطوية التي كان يُسَطَّر فيها القدماء ذخائر الكتب ولا يظهر فيها سوى أطرافها المطوية.

وتقدّم الفيزياء التصور لنهاية الكون بمصطلح الانسحاق العظيم Big Crunch، وفي سياق التهديد باليوم الموعود؛ يُقدّم القرآن الكريم الآلية بطي صفحة الكون المرئية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤، والسجل المكتوب عند القدماء مطوية Scroll كانت تسجل فيها ذخائر الكتب، وهي تمثيل لأفاق الكون الممكن المشاهدة؛ والزواجر بحركات مذهلة لا تُحصَى بلا تصادم؛ تنطق بسبق التقدير وحسن التدبير.



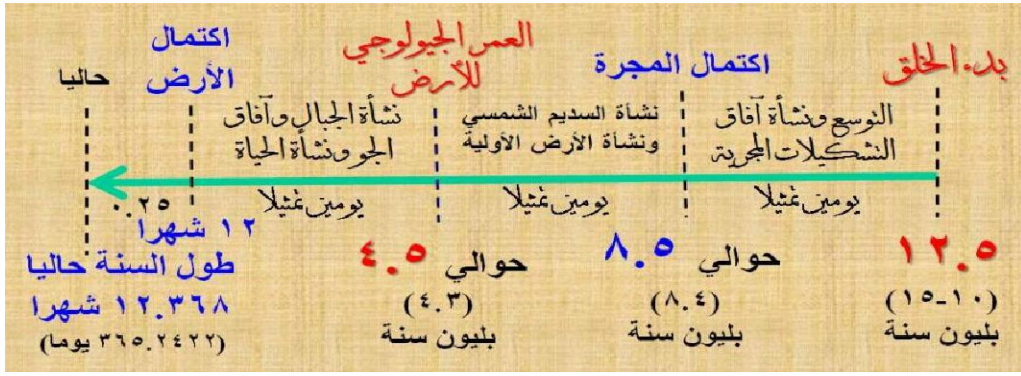
وكما تختفي زخارف سجادة داخلها مع طي طرفها؛ يختفي المكتوب في السجل داخله ولا يظهر منه سوى طرفه يُطَوَى، والثقب الأسود Black Hole كذلك؛ حيث يبتلع النجوم حوله فتختفي داخله ولا يظهر سوى طرفه يُطَوَى، فهو من شدة الجاذبية لا يفلت منه حتى الضوء، ولا يظهر سوى حُطَام يَدُور حوله؛ فسموا طرفه أفق الحدث Event Horizon، ويكفي وجود ثقب أسود وسط مجرتنا يترصد؛ ولا أمان أن يُطَوِيها ويتكاتف مع أمثاله ليصنعوا مقبرة للكون أجمع، وكان النهاية ثقب أسود هائل يبتلع كل الأجرام الفلكية قبل الانسحاق التام تمهيداً لعودة الكون كما كان؛ بياناً للاقتدار والوحدانية: ﴿يَوْمَ قَدَرْنَا لَلَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر: ٦٧.



إذا كانت السنة عند اكتمال خلق العالم: ١٢ شهرًا وحاليًا: ١٢,٣٦٨ شهرًا، بزيادة: ٠,٣٦٨ شهرًا في ٠,٢٥ بليون سنة؛ تكون كل الزيادة: ١٢,٣٦٨ شهرًا في ٨,٤ بليون سنة، فيكون العمر الجيولوجي للأرض حوالي ٤,٥ وعمر العالم حوالي ١٢,٥ بليون سنة.

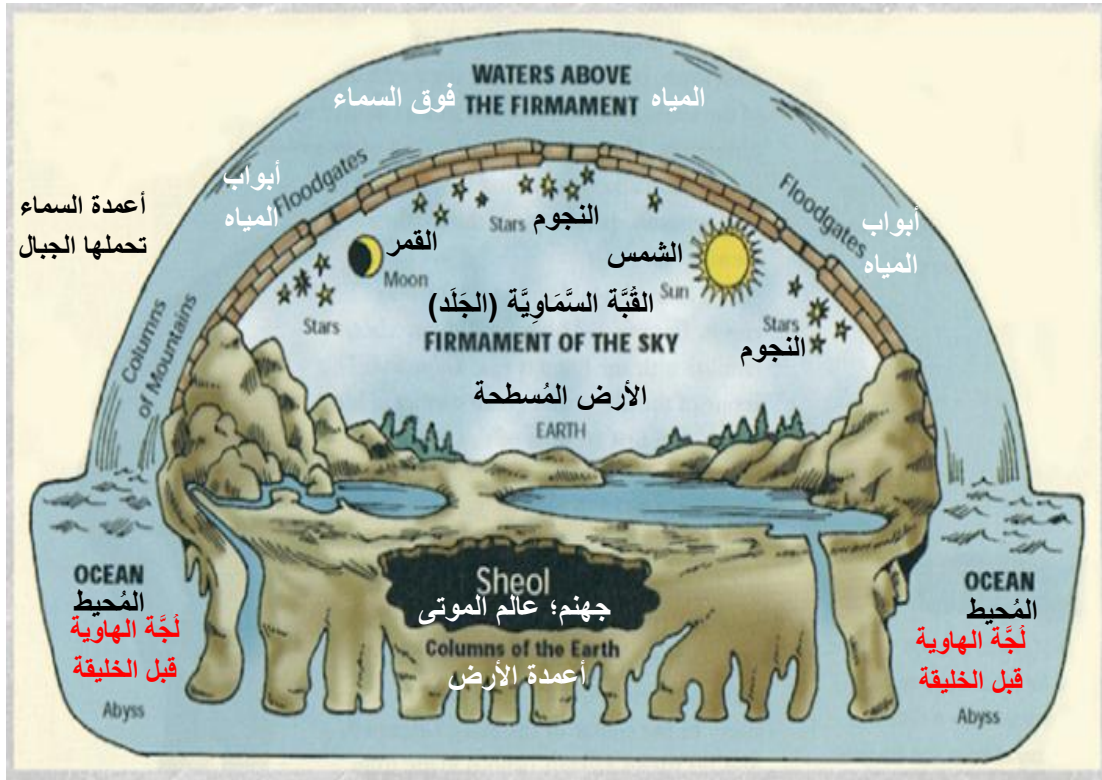
والقرآن الكريم يُصَوِّرُ أطوار خلق الكون الممكن الرصد بستة أيام متتابعة؛ أي كبناء مُشَيِّدٍ في أطوار متتابعة تمثيلاً بالأيام لبيان سبق التقدير ووحدة التصميم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ السجدة: ٤، وقد جعل الأحداث كل يومين في ثلاث مراحل متساوية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: ١٠٩، وفي تاريخ الأرض معلم بارز على تكاملها بوقوع هلاك جماعي لأوائل الأحياء Permian–Triassic extinction منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة في بداية الحقبة الوسيطة Mesozoic Era؛ وفي تلك الفترة استقر الجو وتشكلت أوائل القارات قطعة واحدة سميت أم القارات Pangaea، وهي أيضًا مدة سنة كونية، والمُؤَلِّفُ للنظر أن يدل حديث نبوي على مرور دورة زمنية كونية واحدة منذ اكتملت الأرض: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر شهرًا" رواه البخاري، والزمان وليد حركة الأجرام في عالمنا حيث الشمس والقمر، وأكبر وحدة زمنية في عالمنا هي سنة كونية؛ أي مدة دورة الشمس حول مركز المجرة.

والسنة الأرضية مبنية على حركة الأرض حول الشمس وطولها حاليًا: ٣٦٥ يومًا و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية، أي: ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا؛ أو: ١٢,٣٦٨ شهرًا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التوبة: ٣٦؛ (خَلَقَ) فعل ماضي يُفِيدُ أن السنة عند اكتمال خلق الأرض كانت ١٢ شهرًا، وتراكم فترة الزيادة (٠,٣٦٨ شهرًا) في ٢٥٠ مليون سنة يعني أن الزيادة (١٢,٣٦٨٢٧ شهرًا) تراكمت في حوالي: ٨,٤ بليون سنة؛ أي مع نشأة الأرض حركيًا كدوامة انفصلت عند طرف سديم بالمجرة، لأنه تقريبًا نفس العمر المُقَدَّرُ لتكامل تَمَيُّزِ سُدُمِ المجرة: ٨,٤ (حوالي: ٧-١٠) بليون سنة، ووفق مخطط الأيام الستة تمثيلاً لأطوار خلق الكون وتمييز الأحداث في ثلاث مراحل متساوية؛ المُؤَلِّفُ أن ينتج نفس العمر الجيولوجي المُقَدَّرُ حاليًا للأرض وهو حوالي: ٤,٥ بليون سنة؛ ويتأكد أن عمر الكون على أقل تقدير هو: ١٢,٥ بليون سنة.



وفي التقسيم الزمني لأطوار خلق الكون إلى ثلاثة مراحل أساسية أو ستة فصول فرعية؛ إذا اعتبرت أقصى تقدير للعمر الجيولوجي للأرض: ٤,٧٥ (٥-٤,٥) بليون سنة، وأقل تقدير: ٤,٣ (٤-٤,٦) بليون سنة؛ توافق النتيجة أن عمر الكون على أقصى تقدير: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذت بالأحوط؛ يكون عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٥] مفاهيم دخيلة يرفضها الوحي والعلم



تصور كتبة الأسفار؛ أن السماء قبة مبنية أعمدتها رعوس الجبال عند أطراف الأرض المُسطحة القائمة على أعمدة، والسماء فوقها مياه قبل الخليفة يعوها الكرسي أو عرش الإله، فليست السماء من الأرض ببعيد ويُمكن للماشي بلوغها، أما الروايات فقد اختلفت اختلافاً واسعاً في تحديد زمن سير الماشي؛ ولم يجدوا إلا أن يحملوها على اختلاف سرعة السير، قال ابن حجر: "اختلف الخبر الوارد في قدر مسافة ما بين السماء والأرض..؛ في الترمذي أنها مائة عام، وفي الطبراني خمسمائة..، (و) عند أبي داود..: إحدى أو اثنتان أو ثلاث وسبعون..، وأجمع بين اختلاف هذا العدد.. أن تحمل الخمسمائة على السير البطيء كسير الماشي.. وتحمل السبعين على السير السريع"^{٩٥}، ودخلت أيضاً في التفسير، قال ابن الجوزي: "يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ثم يعرج الملك إليه في يوم من أيام الدنيا؛ فيكون الملك قد قطع في يوم في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الأدمي"^{٩٦}، وكثرت الروايات التي تقرر أن الأرض تحتها أراضي بين كل أرضين مسافة خمسمائة سنة كما بين كل سماء وما يليها، وفي إحداهما: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلاً بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله"؛ والنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بريء من تلك الغرائب.

وقبل معرفة الحقائق العلمية القاطعة؛ لك أن تدهش مما بذله علماء الإسلام من جهود في تحقيق مثل تلك الأخبار الدخيلة، وفي خبر أكثر غرابة: "هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟، قالوا: لا ندري، قال: بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال (تيوس جبليّة قوية القرون) بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك"، والحديث أخرجه جملة أئمة عن العباس منهم الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٧)، وأبو داود (٢٧٦/٢)، وابن ماجه (٨٣/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٩٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٦٨) والحاكم في المستدرک (٣٧٨/٢)، ولكن الترمذي وصفه بالغرابة، وحققه الشيخ محمد زاهد الكوثري وانتهى إلى أنه دخيل فسماه في مقالاته (ص ٣٠٨): "أسطورة الأوعال"، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد بن حنبل (ج ١ ص ٢٠٦): "إسناده ضعيف جداً".

^{٩٥} ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري (٤٩٩ ١٢٠).

^{٩٦} ابن الجوزي: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١١ ٧٧).

وَضَعَفَهُ أَيْضًا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِي بِقَوْلِهِ: "الحديث ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة..، وللحديث علتان: الاضطراب في إسناده وجهالة أحد رواته..، وهذا موضوع هام يجب على كل مُشْتَغِلٍ بِعِلْمِ السَّنَةِ وتراجُم الرواة أن يكون على بينة منه كي لا يخطئ بتصحيح الأحاديث الضعيفة اغترارًا..، إذ كل ما فيه من بيان المسافة بين كل سماء والتي فوقها وكذا البحر فوقها والثمانية أوعال كل ذلك لم يرد فيه شيء صالح للاحتجاج به..، (و) هناك أحاديث أخرى في تحديد المسافة المذكورة؛ وهي مع ضعف أسانيدِها مُختلفة مُتناقضة ولا داعي للتوفيق بينها"^{٩٧}.

وَضَعَفَهُ أَيْضًا الشَّيْخُ مُصْطَفَى العَدَوِي فِي سِلْسِلَةِ التَّفْسِيرِ (ج ٥١ ص ٢٤): "حديث الأوعال ليس بصحيح"، وقال الشيخ محمد يحيى عزان في كتابه عرض الحديث على القرآن منهج رائد في صيانة السنة النبوية (ج ١ ص ٢٣): دراسة الأسانيد وحدها لا تكفي في نقد الحديث..، و(لقد) توجهت جهود الفقهاء إلى دراسة متون الأحاديث..، ومن الضوابط.. اعتبار ما يكذبه العقل ويُنكره الحس والواقع غير مقبول، كحديث: (إن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة فتحركت الأرض؛ وهي الزلزلة)، وحديث..: (ثمانية أوعال)".



وهكذا شاع الوهم عند كتبة الأسفار بقرب السماوات حيث يجلس المليك المُقْتَدِرُ مُجَسَّدًا جَلَّ فِي عِلَاهِ عَلَى كُرْسِيِّ الحُكْمِ كالمُلوِك؛ حَقِيقَةً لَا مَجَازَ، وَالسَّمَاوَاتِ مِنَ القُرْبِ بِحَيْثُ يُمَكِّنُ بِلُغْهَا بِسَلْمٍ أَوْ صِرْحٍ، وَيُلْمِحُ القُرْآنَ الكَرِيمَ تَعْرِيفًا بِوَهْمِ الجَاهِلِينَ بِسَعَةِ مُلْكِ العَلِيِّ القَدِيرِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى﴾ ٢٨ القصة: ٣٨، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى﴾ ٤٠ غافر: ٣٦ و٣٧، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦ الأنعام: ٣٥.

والقاعدة هي أن شهادة الواقع برهان قاطع، وإذا كان الأصل في الغيبات هو التفويض بغير تكليف ولا إنكار؛ فالأصل في الكونيات صيانة الشريعة عن الغرائب، لأن الوحي حتمًا لا يُخالف الواقع، قال الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا المتوفى سنة ١٩٩٦ في كتابه السنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص ٧٤ و٧٩): "حديث الأحاد يُفقد الظن العلمي، و(هو) دليل على الحكم الشرعي؛ ما لم يكن هناك دليل أقوى منه..، والبُعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؛ وهي أن حديث الأحاد يفيد اليقين العلمي الذي يفيد المتواتر"، وقال (ص ٢٠٤): "اليقين الثابت بالعلم وبالوحي لا يجوز أن يتقدم عليه ظن علمي يرويهِ حديث آحاد، إن حديث الآحاد يتأخر حتمًا أمام النص القرآني والحقيقة العلمية والواقع التاريخي"، فلا مطعن إذن في رسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام بتناول روايات غير قطعية الثبوت عند المحققين وتتضمن غرائب.

وإذا ارتضيت منهج السلف في نقد الأخبار سندًا ومنتأ واستبعاد الغرائب واستنطقت الحقائق العلمية اليوم؛ يترسخ لديك اليقين بأن هذا الكتاب العزيز مُتفرد بالاستعلاء على كل الأوهام غير أي كتاب آخر يُنسب للوحي، وقوله تعالى: ﴿يُبْدِرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ٣٢ السجدة: ٥؛ يُفسره التقدير بسرعة لا ينقطع معها التدبير، والسياق يستبعد تلك الغرائب الموافقة لتصوير كتبة الأسفار أن السماء قبة تحملها رعوس الجبال وتبلغها الأقدام أو البغال، قالت بنت الشاطئ: "تكلف مفسرون فحددوا مقدار ذلك السُّمك (للسماء)، ففي (الكشاف والبحر): جعل مقدارها في العلو مديدًا رفيعًا، مقدار خمسمائة عام، وهذا ما لا يقبله النص من قريب ولا بعيد..، وهو من تفاوت قياس السرعة بالزمن على اختلاف العصور؛ فما كان يُقاس أيام الزمخشري بالأعوام في عصر الناقاة؛ أصبح يُقاس بالدقائق والثواني في عصر غزو الفضاء"^{٩٨}.

^{٩٧} موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٤٠٢).

^{٩٨} بنت الشاطئ عائشة محمد عبد الرحمن؛ التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة السابعة (١١/ ١٤٩).

[٦] معادلة ثرية بالحقائق العلمية

تخضع حركة القمر لثنى التأثيرات من الأجرام حوله خلال دورته حول الأرض؛ ولذا كل معايير حركته قيم وسطية، ووفق علم الإحصاء يُعبر بالقيم الوسطية، كما يُقال: مدة دورة الحيز ٢٨ يومًا؛ أي النموذجية الوسطية تعبيرًا بالغالب.

(١) علاقة كونية ثابتة:

استخدمت قوافل العرب قديمًا الزمن للتعبير عن مسافة، فقاوسوا الرحلات بالزمن الناجم عن الحركات الفلكية؛ الحركة اليومية الظاهرية للشمس والتغيرات الشهرية لأوجه القمر، وتعداد السنة ١٢ شهرًا، وفي القياس: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ اليوم بعض السنة، فلا يستقيم حمل المماثلة إلا على المسافة؛ لا الزمن، وكانت السنة في عُرْفهم تقوم على سير القمر لبيتم ١٢ دورة حول الأرض، والدلالة إذن أن المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة تُقطع في يوم واحد، لبيان قيمة السرعة الأعلى Uppermost Speed للانتقال في الكون؛ وهي سرعة الضوء في الفراغ، والمسافة الفلكية التي يقطعها ما تقوم على حركته السنة أنسب لقياس مسافة هائلة لا يوجد على الأرض مُتَسَّع لقياسها؛ خاصة أن القمر أقرب الجيران، لكن حركته نسبية تفتقر لتحديد إطار أو مرجع تُنسب إليه، فتختلف سرعة قطار بالنسبة لمراقب على المحطة عنها بالنسبة لراكب سيارة أسرع أو أبطأ، والمعياري: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ عائد سياتًا على القياس؛ فيعني استبعاد نسبة حركة القمر حول الشمس والاكْتِفَاء بحركته حول الأرض فحسب وفق ما كانوا يَعدُّون ويظنون.

(٢) تحريد حركة القمر رائعة بلاغية ومأثرة فيزيائية:

Moon distances for Cairo, Egypt (2010-2014)

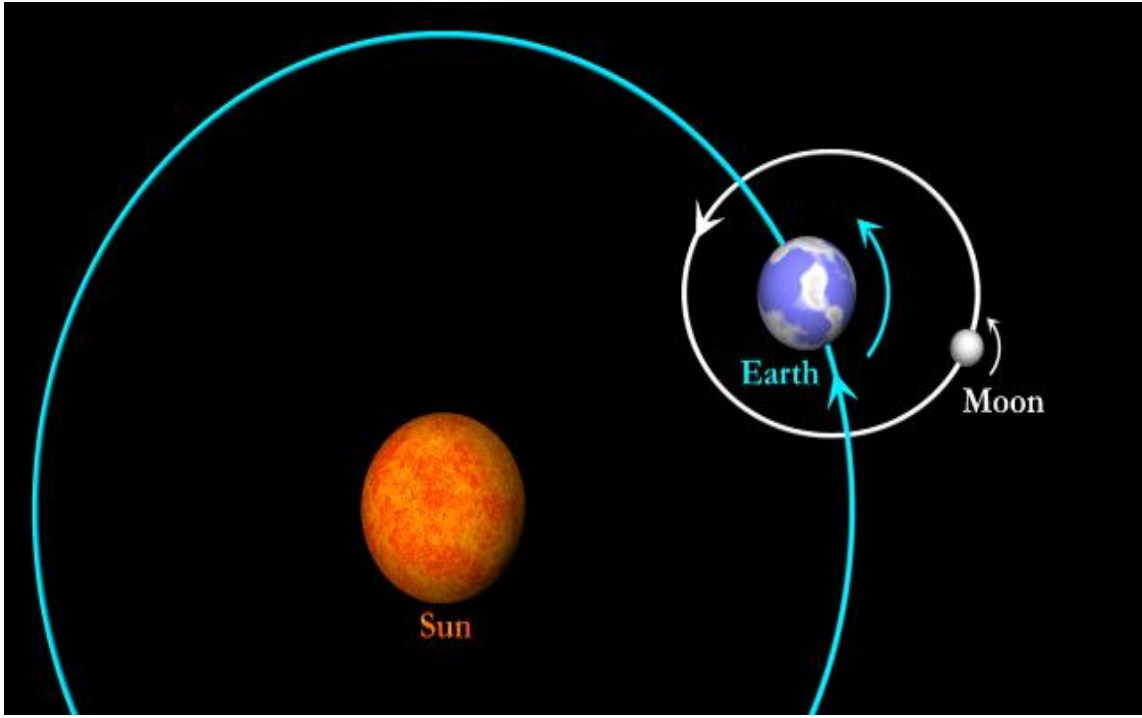
السنة	أقصى بعد (كم)	أقل بعد (كم)
٢٠١٠	٤٠٦٥٤٤	٣٥٦٦٠٦
٢٠١١	٤٠٦٦٥٧	٣٥٦٦٠١
٢٠١٢	٤٠٦٤٣٩	٣٥٦٩٦٤
٢٠١٣	٤٠٦٤٨٥	٣٥٧٠١٤
٢٠١٤	٤٠٦٥٤٧	٣٥٦٩٢٢

بالإضافة إلى حركة القمر حول الأرض يتحرك حول الشمس؛ لذا حركته مركبة، ولو كانت حركته حول الأرض فحسب كما يعدون لكان مداره كامل الاستدارة؛ لكنه ببيضاوي ناقص الاستدارة Ellipse، حيث تشارك حركته حول الشمس لتضيف نسبة إلى حركته المُجَرَّدة، وهو يطوف حول الأرض والشمس متأثرًا كذلك بالأجرام سواهما؛ ولذا في كل دورة للقمر حول الأرض يتغير البعد بين المركزين، وفي كل سنة ومن سنة لأخرى يتغير كذلك بعده قليلا من دورة لأخرى (*).

(*) <http://www.timeanddate.com/astronomy/moon/distance.html?year=2015&n=53>

وتقتضي الحكمة إذن لاستخدام حركة القمر كمقياس لقيمة سرعة الضوء بالفراغ المجردة من التأثير الخارجي؛ استبعاد النسبة الإضافية التي تجعل مداره ببيضاوي بخلاف ما كانوا يعدون، واستخدام حركته المجردة؛ كما لو كانت الأرض ثابتة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب في نظام مستقل معزول عن كل التأثيرات الخارجية، خاصة أن حركة الأرض حول الشمس لا يعاينها إلا مراقب خارج النظام الشمسي لا المراقب الأرضي؛ فاعتبرت ساكنة لا تدور حول الشمس، والنظر بالعين المجردة لوجه القمر خلال دورته؛ لا يدرك بدون أجهزة فلكية نسبة تغير بعده وكأنها مستبعدة.

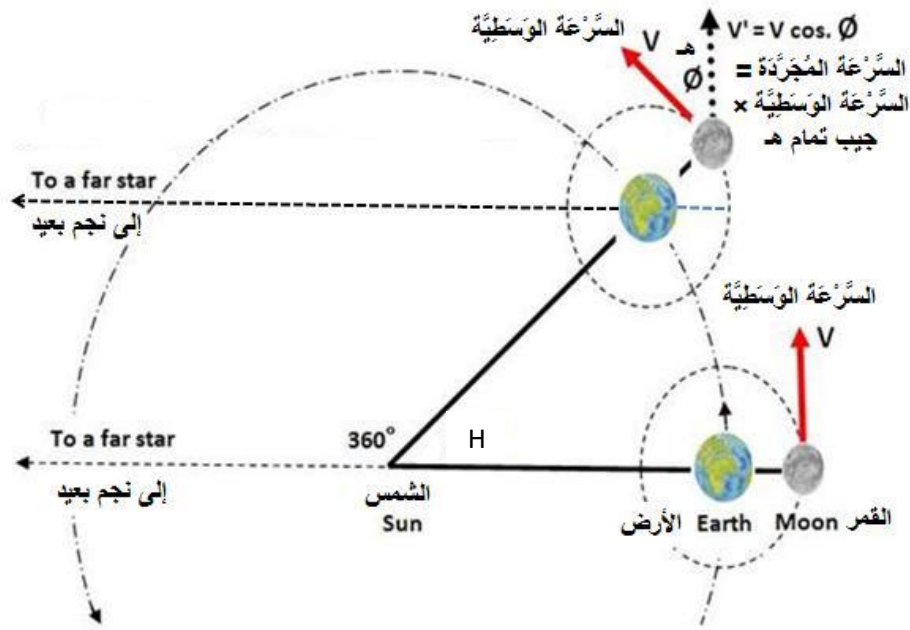
ومعياري القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ إذن يعتمد نموذج مركزية الأرض Geocentric Model؛ فيختار للقياس نسبة حركة القمر حول الأرض فحسب وكأنها في الفراغ؛ لأنها الأنسب لقياس قيمة سرعة الضوء الثابتة القيمة في الفراغ، فيكون كلا المقياس والمُقاس في إطار مرجعي واحد: مُسْتَقَلُّ مُغْلَقُ Inertial Frame of Reference، أي في نظام معزول Isolated System عن التأثير الخارجي، وبهذا الاعتبار تتحقق علاقة ثابتة باستخلاص نسبة مُجَرَّدة حوالي: ٨٩% من متوسط أقصى قيمتين لبعد القمر أو سرعته، ويستبعد نسبة التغير في حركته: حوالي ١١%، وهي ناجمة عن حركته حول الشمس التي تجعل المعايير متغيرة لا يعبر عنها إلا بقيم وسطية، حيث تتباين قيم البعد والسرعة دوريا وقليلا سنويا بخلاف النسبة الثابتة نتيجة حركته حول الأرض فحسب، والتعبير ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ إذن قد سبق بمبدأ النسبية، وأقام علاقة ثابتة كلا طرفيها في نفس الإطار المرجعي وكأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت، وهو يعني: من الذي تحسبون وتظنون، فدل بلفظه على دوران الأرض حول الشمس بخلاف ما يظنون؛ فأى إحكام إذن في البيان وإخبار بالمستور!.



يَتَّحَدُّ اليوم بإكمال الشمس دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي، ويسمى فلكياً باليوم الاقتراني **Synodic Day**؛ حيث تقطع الأرض دورة حول نفسها في ٨٦٤٠٠ ثانية، لكنها تتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد في يوم نجمي **Sidereal Day**: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ وتدور حول الشمس في مدة سنة نجمية **Sidereal Year**: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يوماً: ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات، و٩ دقائق و٩,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية لحركة الأرض حول نفسها في السنة قيمته تساوي: ٣٦٥,٢٥٦٣٦؛ بينما عدد الدورات الحقيقية: ٣٦٦,٢٥٦٣٦؛ أي بزيادة دورة كاملة كل سنة، ويرجع الفارق فلكياً إلى أن الأرض تدور حول الشمس أثناء دورانها حول نفسها، وتَتَّحَدُّ مدة الشهر القمري بإكمال القمر دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي؛ ويسمى فلكياً بالشهر الاقتراني **Synodic Month**، وطوله: ٢٩,٥٣٠,٥٨٨١ يوماً، ولكن القمر يتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم بعيد في مدة شهر نجمي **Sidereal Month**: ٢٧,٣٢١٦٦,٠٨٨ يوماً: ٢٧ يوماً و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية في السنة: ١٢,٣٦٨٧٤٦٥٦ دورة؛ وعدد الدورات الحقيقية في السنة: ١٣,٣٦٨٧٤٦٥٦، بزيادة دورة كاملة كل سنة، والفارق كذلك بسبب حركته مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها.

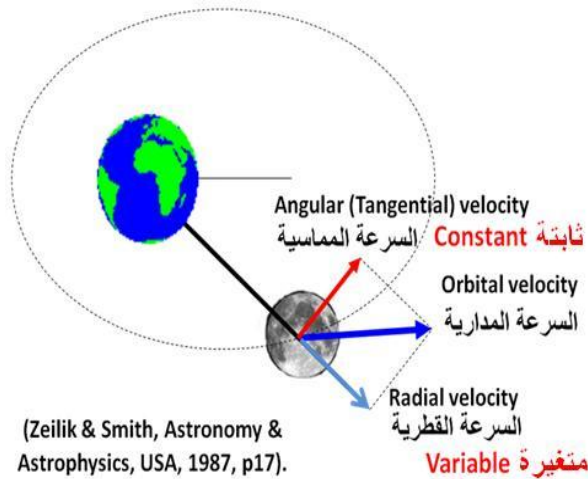
(٤) سرعة القمر مُتَّحَة:

تُعتبر السرعة في الفيزياء مُتَّحَة Vector كالقوى، أي تظل ثابتة القيمة والاتجاه كأنها في خط مستقيم ما لم يُؤثر عليها مؤثر خارجي، وتغير الاتجاه أو السرعة يعكس اكتساب تسارع Acceleration نتيجة مؤثر خارجي، وعند نهاية دورة للقمر باعتبار ما يُعدُّون؛ ستكون سرعته كمتجه في نفس الاتجاه عند بدء الدورة، وكان حركته حول الأرض في نظام معزول.



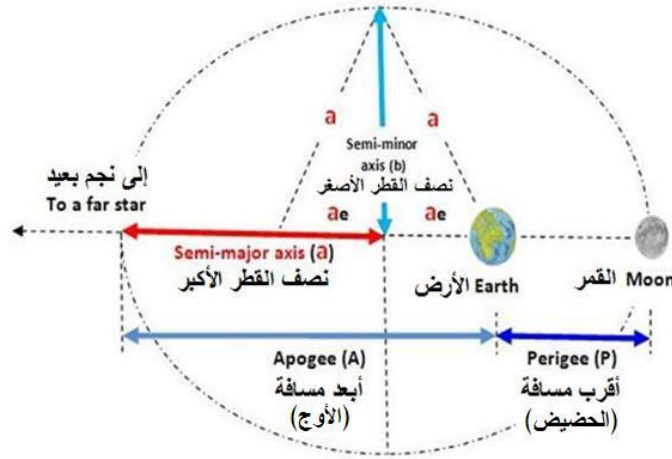
ولكن القمر يتحرك حول الشمس أثناء حركته حول الأرض ليقطع كل دورة بالنسبة لنجم بعيد زاوية قيمتها (هـ): 360×360 (٨٨،٣٢١٦٦٠،٨٨) = $26,92847817$ درجة، وكان اتجاهه تغير على مداره المعزول بنفس الزاوية؛ فتغير اتجاه سرعته المجردة لتعكس اكتساب تسارع، ولذا نسبة الحركة حول الأرض (جتا هـ): $0,8910725423$ والنسبة الناتجة عن حركته حول الشمس من القيم الوسطية التي تجعل المدار بيضاوي هي: $0,1084274577$.

(٥) السرعة المماسية المحددة للقمر:



بتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تسمى السرعة القطرية Radial Velocity، وتخضع للتغير من نقطة لأخرى، ومركبة متعامدة على القطر؛ تصنع معه زاوية قائمة، وهي السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة المُعتَبَرة في النظام الأرض قمر المعزول؛ لأن قيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار، ولذلك تسمى أيضا: السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17).

(٦) نسبة التغير في بعد القمر:



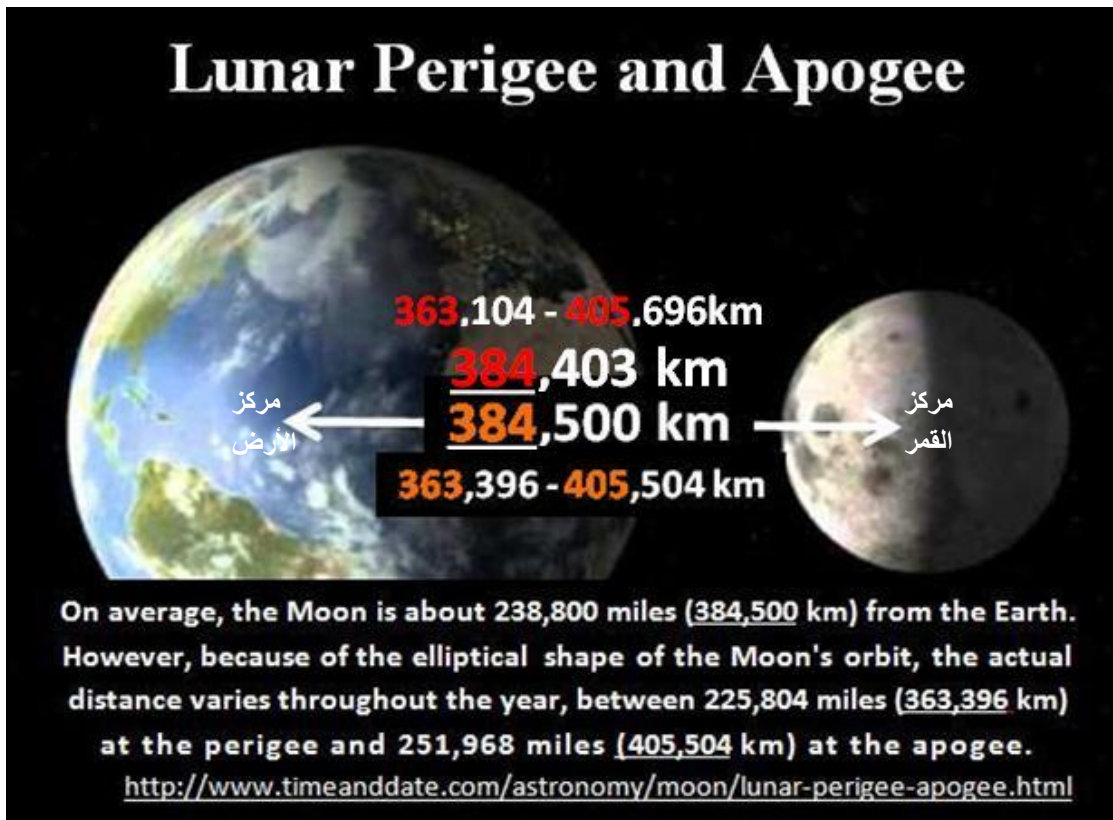
تتغير سرعة القمر وبعده عن الأرض طبقاً لموقعه، ولذا المدار القمري Lunar Orbit ليس بدائرةً كاملة الاستدارة؛ وإنما بيضي ناقص الاستدارة، وبدلاً من نصف القطر في الدائرة؛ له نصف قطر أكبر (a) Semi-Major Axis يمثل نصف مجموع أبعد مسافة أي الأوج (A) وأقربها أي الحضيض (P)، وطبقاً لنقصان الاستدارة Eccentricity ($e = ae/a$)؛ تُعرف قيمة أبعد مسافة: $A = a(1 + e)$ ، وأقربها: $P = a(1 - e)$ ، ونصف القطر الأكبر: $a = (A + P)/2 = 2R/\{1 + (1 - e^2)^{0.5}\}$ ؛ حيث R البعد المتوسط Mean Distance، ويُعرف نصف القطر الأصغر (b) Semi-Minor Axis: $b = \{a^2 - (ae)^2\}^{0.5}$ ، والبعد المتوسط: $R = (a + b)/2$ ، وتُعرف نسبة البعد الخاضعة للتغير Variable Ratio من أقصى بعدين: $2ae/a = 2e$ ؛ أي ضعف نقصان الاستدارة، فتكون النسبة الثابتة: (جنا هـ) $1 - 2e =$ ؛ ومتوسط نقصان الاستدارة (e): 0.05421372885 . ولكن كل معايير الحركة الفلكية للقمر تتغير نتيجة التسارع الناجم عن الحركة في نظام غير مستقل؛ يؤدي لوجود نسبة خاضعة للتغير في بعده (وسرعته)، وتبقى نسبة تعبر عن بعد ثابت يجعل المدار القمري كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit؛ والسرعة الفاعلة في النظام المُستقل المعزول مُنظمة ومُجردة وثابتة القيمة والاتجاه كما لو كانت رياضياً في خط مستقيم.

[٧] توحيد الأجرام في المنشأ والنظام

قياس حركة القوى بمعزل عن التأثير الخارجي؛ تطلب جعل حركة القمر مستقلة بحسب ما يُعدُّون؛ باستبعاد نسبة تغير بعد القمر وسرعته من القيمة الوسطية لكل منهما، فتصبح حركته مستقلة مجردة ومنتظمة والمدار كامل الاستدارة، والمعيار (مما تُعدُّون) إن قد حقق شرط تحديد مرجع لحركة نسبية، وجعل كلا طرفي القياس في إطار مرجعي مُستقل مُتلق في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ في علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمرى؛ بالإمكان أن تدل على آلية نشأته.

(١) معاصر حركة القمر حول الأرض:

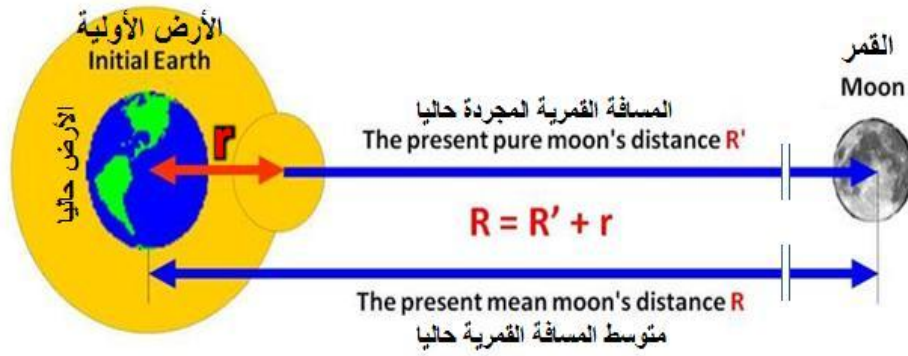
يُعرف طول المدار (L) بمعرفة متوسط السرعة (V) وشهر نجمي (T'): $L = VT'$ ، أو البعد المتوسط (R): $L = 2\pi R$ ؛ حيث: $\pi = 3,1415926535898$ ، والشهر النجمي: $236,0591,5$ ثانية، ومتوسط سرعة القمر حوالي: $1,023$ كم/ثانية (Laros Astronomy; p.142)، والقيمة التي تحقق سرعة الضوء بمسافة ألف سنة قمرية في زمن يوم هي: $1,022794272$ (حوالي: $1,023$) كم/ثانية، لذا يُمكن تعريف القيم المُجرَّدة في النظام الأرض قمرى المعزول: السرعة: $0,9118952893$ كم/ثانية، البعد عن الأرض: $342598,8834$ كم، طول المدار: $2152612,269$ كم.



وبناء على العلاقة؛ أبعد مسافة للقمر عن الأرض: $405,696$ كم، وأقرب مسافة: $363,104$ كم، ونصف المحور الأصغر للمدار القمري: $384,403$ كم، ومتوسط بعد القمر عن الأرض (R): $384,500$ كم، ونصف المحور الأكبر (a): $384,500$ كم (حوالي: $384,500$) كم؛ وهي نفس القيمة الفلكية؛ حوالي: $384,500$ كم.

(٢) اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد:

إذا كانت المسافة التي يقطعها الضوء بالفراغ في يوم تماثل المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة (١٢٠٠٠ دورة) في النظام الأرض قمرى المعزول؛ فيمكن صياغة معادلة ثابتة منذ نشأة النظام: $(c = 12000 L'/t')$ ؛ حيث c سرعة الضوء، L' طول مدار القمر، t' يوم نجمي، ويُمكن صياغتها على النحو التالي: $c = 12000 V'T'/t'$ ، أو: $c = 12000 2\pi$ ؛ حيث أن R'/t' في النظام المعزول؛ حيث T' شهر نجمي، V' سرعة القمر، R' بعده، $\pi = 3,1415926535898$ ، وحيث أن قيمة c ثابتة (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨) كم/ثانية؛ إن: $t' = V'T'$ ؛ $t' = 24,98270,483$ ؛ وقيمة R' = $t' = 3,976120,968$.

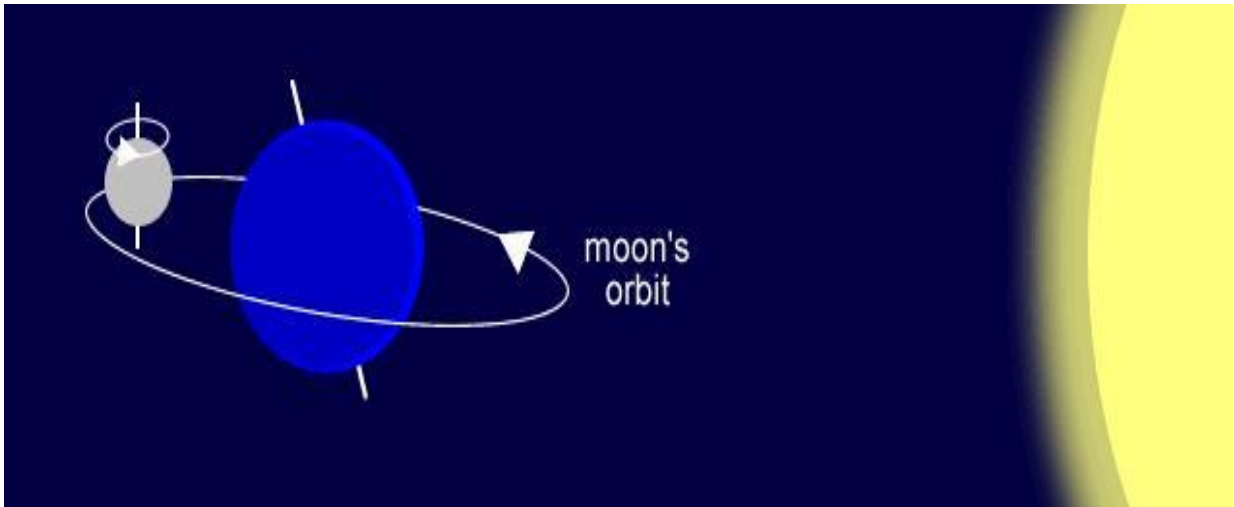


بعد القمر ($R' =$

بتلاشي

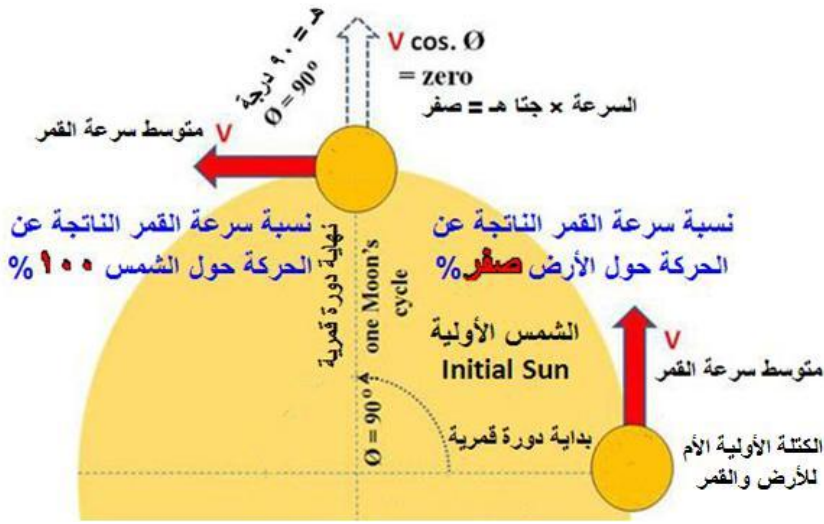
صفر) في العلاقة بين بعده R' ومدة دوران الأرض حول نفسها t' في النظام المعزول؛ تبقى مسافة بالنظام المرصود تكافئ نصف قطر الأرض الأولية: $R = r$ - صفر، وعند اتصال القمر بالأرض: $t' = T'$ ، واتصال القمر بالأرض يعكس تكون المدار الأولي للقمر على بعد يكافئ ضعف نصف القطر الأولي للأرض: $R = 2r$ ، ووفق العلاقة ($t' = V'T'$) تكون سرعة دوران الأرض الأولية حول نفسها: $V' = 24,98270483$ كم/ثانية، وفارق البعد حالياً: $384263,6096 - 342598,8834 = 41664,7262$ كم، ونصف قطر الأرض إن أكبر بحوالي 6,5 مرة منه حالياً (6378,1 كم)؛ إن الجسم الأولي الأم للأرض والقمر غيمة سديمية، وبمعرفة سرعة دورانها حول نفسها ونصف قطرها؛ تُعرف مدة دورتها (t) Rotation Period: $10,478,73711$ ثانية (أكثر قليلاً من 2,5 ساعة)، فيكون اليوم الأرضي حوالي: 4 ساعات⁹⁹، والمدة حالياً: 24 ساعة؛ والنتيجة إن أن اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد.

(3) النشأة السديمية للنظام الأرض قمرى:

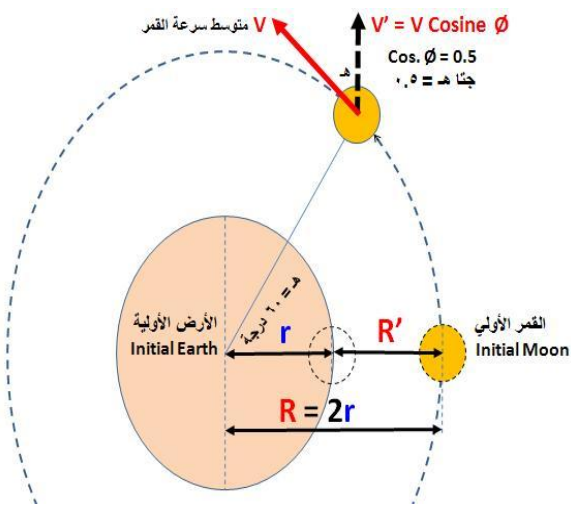


يدور القمر حول الشمس بتلازم مع دورته حول الأرض ليقطع نفس الزاوية (هـ) التي تقطعها الأرض حول الشمس في كل دورة حولها، وكأنه انتقل في مداره المعزول ليضيف نفس الزاوية؛ فيتغير اتجاه سرعته في موضعه الجديد بالنسبة إلى نجم بعيد، ليعكس وجود نسبة تسارع Acceleration يمكن استبعادها بتحليل متوسط سرعته كمتجه Vector، والنسبة الخاضعة للتغير Variable Ratio في متوسط البعد أو السرعة تكافئ: $2e$ ، أي ضعف نقصان استدارة مدار القمر: e ؛ وترجع لحركته حول الشمس، والنسبة الثابتة تكافئ: **جتا هـ**؛ وترجع لحركته حول الأرض فحسب، وعلى طول عمر النظام؛ تظل القيمة (r) ثابتة كبصمة لنصف قطر الأرض الأولية، لذا النسبة (r/R) تكافئ دوماً ($2e$)، وتعكس معايير حركته عند أي بعد مهما تباعد القمر، وتمثل القيمة المتبقية ($1-2e =$ **جتا هـ**) معايير حركته المجردة، ويتحدد البعد المُجرّد R' بمعرفة متوسط بعده R : (**جتا هـ** / $R = R'$)، وبالمثل السرعة المُجرّدة V' : (**جتا هـ** / $V = V'$).

⁹⁹ تُضيف الأرض بالنسبة لنجم بعيد كل دورة لها حول الشمس دورة كاملة حول نفسها؛ إن: (سنة/يوم أرضي) = (سنة/يوم نجمي) - 1، ولذا اليوم الأرضي حالياً: 24 ساعة؛ والنجمي: $86164,09666$ ثانية، وعند نشأة الأرض؛ اليوم الأرضي $(4/3t) = 13971,64948$ ثانية (حوالي 4 ساعات).



وعند اتصال القمر بالأرض الأولية؛ تكون النسبة: $(r/R) = 1$ ، إذن القيمة: $(2e) = 1$ ، لكن: $1 - 2e = \text{جتا هـ}$ ؛ أي أن: **جتا هـ = صفر**، إذن: (**هـ = ٩٠ درجة**)؛ أي تكون الزاوية التي تقطعها الأرض والقمر حول الشمس قائمة خلال دورة قمرية، فتعني أن حركتهما مماسية للشمس؛ وأنه لا أثر لحركة منفصلة للقمر عن الأرض، وكل حركة القمر بالنسبة لنجم بعيد ترجع لاتصاله بالشمس وحركته على طرفها مع الأرض لأن $2e = 1$ ، والنتيجة إذن: وحدة الأرض والقمر مع الشمس في أصل واحد ومادة واحدة؛ ونظام حركي واحد وفق علاقة كونية واحدة تشمل بالمثل كل متبوع وتابعه.



وبافتراض انفلات القمر عن الغيمة الأم للأرض والقمر واستقلاله عند نقطة توازن Equilibrium تتساوى عندها القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته أو أقصى بعديه $(2e)$ مع القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الأرض: (**جتا هـ**)؛ فتكون النسبة $(r/R) = 0.5$ ؛ والقيمة $(2e) = 0.5$ ، والقيمة (**جتا هـ**) = 0.5 ، والزاوية المركزية (**هـ**) = 60 درجة، وحينئذ يتكون المدار الأولي عند متوسط بعد (R) يماثل ضعف بعده عند الاتصال: $(R = 2r = R' + r)$ ؛ وللتعديل وفق العلاقة الخطية تنقص قيمة متوسط سرعته في المدار الأولي إلى النصف، وتعكس مركبتها في الاتجاه الأصلي إذن بعد دورة قمرية سرعة الهروب Escape Velocity من الأرض؛ وتكافئ قيمتها نصف النصف:

$٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨$ كم ثانية، وحينئذ تكافئ قيمة شهر نجمي وفق العلاقة أربعة أيام نجمية: $T' = 4 t'$.

وعند اتصال القمر بالأرض والشمس؛ تكون النسبة المُعَبَّرَة عن السرعة القطرية المتجهة باتجاه القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته: $1 = 2e$ ، ونسبة السرعة المماسية المُتَعَامِدَة على القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الأرض: **جتا هـ = صفر**، ومتوسط سرعته: $V = (|V'| \text{ جتا هـ}) = (|V'| \text{ صفر}) = \infty$ ؛ (ما لا نهاية)، وهي تعكس هروب من الأرض باتجاه القطر نحو نقطة توازن؛ حيث تتساوى نسبة حركته حول الأرض (**جتا هـ**) مع نسبة حركته حول الشمس $(2e)$ ، أي أن القمر والأرض أشبه بتوأم Twin؛ لاتفصاله معها في نفس الوقت.

(٤) كثافة أولية واحدة للشمس والقمر والأرض:

بافتراض النشأة السديمية للأرض والقمر مع الشمس من جسم أصلي واحد متجانس؛ سرعة الهروب v من أي جرم منهم تتناسب حينئذٍ مع الكتلة M أو نصف القطر r : $v_1/v_2 = r_1/r_2$ ؛ $v_1^3/v_2^3 = M_1/M_2$ ، ولذا بمعرفة كتلة الشمس حالياً (1.99×10^{30} كجم) وكتلة الأرض (5.9736×10^{24} كجم) وكتلة القمر (7.35×10^{22} كجم) تكون سرعة الهروب من الشمس: 432.963991 كم/ثانية، ونصف قطرها: 2888290.327 كم، وسرعة الهروب من القمر: 1.441882483 كم/ثانية، ونصف قطره: 9618.756561 كم، وقانون الكثافة $Density = 3M/4\pi r^3$ ؛ حيث M الكتلة، r نصف القطر؛ $\pi = 3.1415926535898$ ، وبتطبيق القانون على كل من الأرض أو الشمس أو القمر تنتج نفس الكثافة:

التحقق:

$$\text{كثافة الأرض} = \frac{3 \times 5.9736 \times 10^{24}}{4 \times 3.1415926535898 \times (41664726.3)^3} = \frac{19,717,0496}{\text{كجم م}^3}$$

$$\text{كثافة الشمس} = \frac{3 \times 1.99 \times 10^{30}}{4 \times 3.1415926535898 \times (2888290327)^3} = \frac{19,717,0496}{\text{كجم م}^3}$$

$$\text{كثافة القمر} = \frac{3 \times 7.35 \times 10^{22}}{4 \times 3.1415926535898 \times (9618756.561)^3} = \frac{19,717,0496}{\text{كجم م}^3}$$

فكثافة الأجرام الثلاثة إذن واحدة؛ أقل بحوالي ٥٠ مرة من كثافة الماء (١٠٠٠ كجم/م^٣)، وأكبر بحوالي ١٥ مرة من كثافة الهواء عند سطح البحر (١,٣ كجم/م^٣)، وتلك سمات غيمة سديمية انحدر منها القمر ومعه الأرض والشمس، وهي تسمح بنشأته كغيمة سديمية خارج حد روش Roche Limit؛ حيث يتكسر التابع الصُّلب نتيجة شدة الجذب جهة المتبوع.

(٥) المعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض:

بمعرفة مسافة التباعد منذ اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمرى: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٢ كم؛ يكون المعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض: ٤,٠٧ سم/سنة، وبافتراض تسارع مُعدل التباعد إلى أن استقر المدار الأولي؛ تبقى مسافة قدرها: ١٥٦٩,١٥٦٩ كم بمعدل: ٣,٥٨ سم/سنة، وبالتالي يُمكن معرفة متوسط معدل التباعد السنوي للقمر عن الأرض Mean Annual Moon's Recession Rate: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم/سنة، وهي نفس نتيجة القياس بالليزر بعد وضع عواكس على سطح القمر منذ رحلة أبولو ١١ عام ١٩٦٩: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم/سنة (Laros astronomy, p62)، وهي تؤكد سبق النشأة السديمية للنشأة الجيولوجية للأرض منذ حوالي: ٤,٥ بليون سنة.

(٦) محطات في تاريخ الكون:

تُرَجَّح النشأة السديمية انفلات القمر من الأرض في السديم الشمسي عند نشأة النظام الأرض قمرى وفق قانون المقذوفات: $(V^2 = 2MG/r)$ ؛ حيث V سرعة الهروب من أي جسم، M كتلته، r نصف قطره، G ثابت الجاذبية Gravitational Constant؛ ويمكن بواسطته تقدير التجاذب بين الأجرام الفلكية، وقيمة ثابت الجاذبية G حالياً: 6.674×10^{-11} قوة-٢٠ كم^٣/كجم ثانية^٢، وبتطبيق القانون عند نشأة النظام الأرض قمرى يتبين أن ثابت الجاذبية G ليس بثابت مُطلق على الدوام؛ وإنما تتناقص قيمته مع الزمن؛ حيث كانت منذ حوالي ٨,٤ بليون سنة عند نشأة النظام أكبر بحوالي الضعف: $1.36038342 \times 10^{-10}$ قوة-١٩ كم^٣/كجم ثانية^٢، وبطريقة أخرى: $(V^2 = 2MG/r)$ ؛ أي: G_1/G_2 حيث G_2 حالياً بافتراض ثبات M ، إذن G_1 حوالى الضعف، وتؤيد تلك النتيجة ما توقعه الفيزيائيون؛ مثل بول ديراك Paul Dirac في عام ١٩٣٧ وبرانس ودايك Brans & Dicke في عام ١٩٦١.

ووفق قانون ثبات العزم الزاوي Conservation of angular momentum؛ إذا اقترب القمر من الأرض تزداد سرعته وإذا ابتعد تقل، بحيث تظل القيمة: (بعده R' × سرعته V' × كتلته M) قيمة ثابتة، وبعبارة أخرى: طالما بقيت كتلته ثابتة تظل القيمة: ($R'V'$) ثابتة على طول عمر النظام الأرض قمري، وعند استقرار مدار القمر الأولي تساوي القيمة $M_1 R'V' = 6,245676208 \times 41664,7262 = M_1$ ، وفي الوقت الحالي تساوي القيمة $M_2 R'V' = 0,9118952893 \times 342098,8834 = M_2$ ؛ إذن قيمة: $M_2 = 312414,3079$ ؛ أي نقصت كتلة القمر بنسبة ١٦,٧%؛ مما يوافق فقده لكل غلافه الغازي نتيجة التهاهب في الماضي.

(٧) بعد الأرض عن الشمس:

عند اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: $t' = t'$ ؛ $t' = t'$ ؛ $2\pi R'/t' = V'T'/t'$ ، والعلاقة الأساسية هي: $R'/t' = \text{ثابت}$ ، وبالتعويض إذن: $R'/t' = V'R' = \text{ثابت}$ ، وكتلة القمر في النظام المعزول ثابتة، وحينئذ تكون القيمة ($MVR = \text{ثابت}$)؛ وهي نفس صيغة قانون ثبات العزم الزاوي، وبالتعويض: $V' \times t'/t' = \text{ثابت}$ ، ينتج أن السرعة الابتدائية V' قيمة ثابتة ($R'V' = \text{ثابت}$) طالما بقي النظام معزولاً والكتلة ثابتة^{١١١}، والسرعة الابتدائية للشمس حين انفصال الأرض (V'_{Sun}): $432,963991$ كم/ثانية، فيمكن تطبيق نفس العلاقة على الشمس والأرض: $2\pi R'_{\text{Earth}} = V'_{\text{Sun}} \times t'_{\text{Sun}}$ ؛ حيث زمن دورة الشمس حول نفسها: t'_{Sun} ، وبعد الأرض عنها: R'_{Earth} ، وحاليًا مدة الدورة الاستوائية للشمس حول نفسها تزيد قليلاً عن ٢٥ يوماً، والقيمة: $25,12694896$ يوماً؛ تحقق البعد الوسطي للأرض حالياً، وهو يُستخدم في القياسات الفلكية باسم الوحدة الفلكية Astronomical Unit: ١٤٩٥٩٧٨٧٠ (حوالي: **١٥٠ مليون**) كم، والتوافق مع الواقع لنظام حركة الأرض حول الشمس ونظام حركة القمر حول الأرض؛ يستبعد المصادفة ويؤيد افتراض وحدة الأصل.



والعلاقة مُثلت بالنظام الأرض قمري بدلالة اليوم والألف سنة، ولكن المبدأ الحركي واحد لكل الأجرام السماوية؛ فهي إذن علاقة كونية، وعلى بساطتها أوجزت ضرورياً من التوحيد شملت القوى والأجرام الفلكية، ووحدت كل متبوع وتابعه في أصل واحد ونشأة واحدة ومادة واحدة ونظام حركي واحد، سمة كل موجود إذن؛ الحركة في انضباط على كافة المستويات، والضابط بكل نظام حركي هو السرعة الابتدائية، وتتبدى للفطين كحالات طاعة لتقدير القدير، وكأن العلاقة تُعامل الأجرام الفلكية بنفس المبدأ الواحد لجميع الموجات؛ فلكل منها طول وتردد يعكس المدة وفق سرعة ابتدائية ثابتة، ومع تزايد بعد التابع تقل مدة دوران المتبوع، وكذلك الموجات: بتزايد الطول يقل التردد وتظل قيمة سرعة الضوء ثابتة، ومظاهر التوحيد والتقدير في كل ما صنع القدير؛ براهين للفطين على مطلق قدرته ووحدانيته، وهو مَعزَى العلاقة الثريّة بالحقائق العِلْمِيَّة.

^{١١١} عند نشأة أي نظام فلكي: عندما يتلاشى بعد التابع في النظام المعزول؛ ما يتبقى من البعد المرصود يمثل نصف قطر المتبوع، وفي النظام المعزول تتوحد سرعة التابع حول المتبوع مع سرعة المتبوع حول نفسه عند نشأة النظام، وكلما ابتعد التابع تقل سرعته وفق علاقة ثابتة ($R'V' = \text{ثابت}$) طالما بقي النظام معزولاً والكتلة ثابتة.

[٨] التوحيد رسالة الأنبياء

كانت السنة في تاريخ العبرانيين قائمة كذلك مثل العرب على سير القمر في ١٢ دورة حول الأرض، وكانت عُزَّات الأشهر قبل القرن الرابع للميلاد تُقَرَّر حسب رؤية هلال أول الشهر، وما زال التقويم القمري مُستخدَمًا إلى اليوم في الأعياد الدينية عند اليهود عملاً بمعهود الآباء، وفي سفر المزامير (١١٠٤ | ١٩): **"صنَعَ القمر للمواقيت"**، وفي سفر يشوع بن سيراخ (١٤٣ | ٧٦): **"القمر بجميع أحواله المؤقتة هو نبأ الأزمنة وعلامة الدهر.. والقمر علامة العيد"**، وورود نفس العلاقة بين اليوم والألف السنة في إرث موسى وإرث المسيح عليهما السلام في سياق بيان سرعة مجيء يوم الرب وزوال السماوات والأرض؛ رغم التشويه والخلو من معيار القياس **(مِمَّا تَعُدُّون)**، دليل قاطع على أن دعوة الأنبياء على طول سلسلة النبوات؛ هو أزلية القدير تعالى وحده ووحدانيته؛ وبراعة المسيح عليه السلام من بدعة التثليث.

في سفر المزامير (١٩٠ | ٤-١): **"صلاة لِمُوسَى رَجُلِ اللَّهِ.. من قبل أن تُولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل"**، وفي رسالة بطرس الثانية (١٣ | ٢): **"لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد"**.

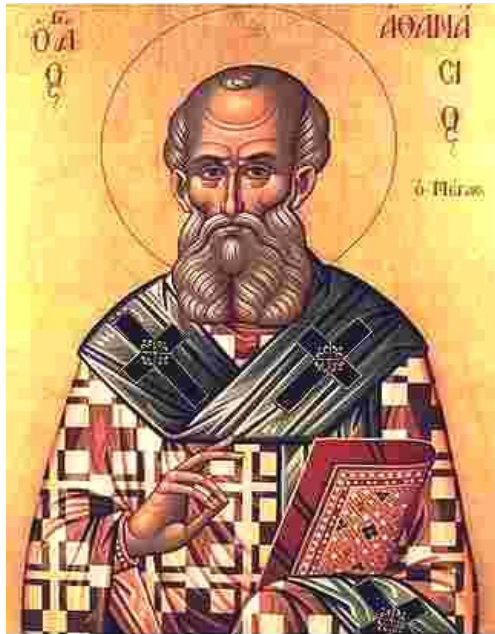
والسياق مُتعلق بسرعة مجيء يوم الرب وهلاك الفجار يوم الدين ونشأة عالم آخر ينعم فيه الأبرار؛ بصريح رسالة بطرس الثانية (١٣ | ٢-١٤): **"لتذكروا الأقوال التي قالها سابقاً الأنبياء القديسون (في الوعد بمجيء يوم الرب)..، سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزونون..، قائلين: أين هو موعد مجيئه، لأنه.. يخفى عليهم.. أن السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله (كن) قائمة..، وأما السماوات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة.. إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار، ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده..، سيأتي.. يوم الرب؛ الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، فبما أن هذه كلها تتحل؛ أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى، منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضاً جديدة؛ يسكن فيها البر، لذلك أيها الأحباء؛ إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام"**، والنصوص صريحة في بيان **"سرعة مجيء يوم الرب"**: **"ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" (إشعياء ١١٣ | ٦، "ليرتد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم" يونيل ١٢ | ١، "كلص في الليل هكذا يجيء لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون" اتسالونيكى ١٥ | ٣، "تؤكل الأرض كلها لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض" (صفنيا: ١١ | ١٨)، "هو ذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً" (إشعياء: ١١٣ | ٩)، "يوم الرب عظيم ومخوف جداً فمن يطيقه" (يونيل: ١٢ | ١)، "يوم سخط يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقيام، يوم سحب وضباب" (صفنيا: ١١ | ١٥)، "ويل للذين يشتهون يوم الرب" (عاموس: ١٥ | ١٨)، "قريب يوم الرب على كل الأمم" عوبيديا ١٥، "قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جداً" صفنيا ١١ | ١٤، "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة" يوحنا ١٢ | ١٨.**

الدين إن في الأصل واحد ورسالة التوحيد إلى بني إسرائيل واحدة؛ وما عكَّر مجرى النبع الصافي سوى أوهام وثنية وسلطة رومانية جائرة، ولا يستقيم إذن اتهام القرآن الكريم بالافتباس من إرث سبق ناله التشويه بمرور الزمان؛ وهو الأكمل والمُنقَرَد وحده بمفتاح القياس: **(مِمَّا تَعُدُّون)** الجامع لجملة حقائق علمية، والاستنتاج إذن أن سرعة الانتقال بالكون دليل مُدخَّر لقادم الأيام على أن أزلية القدير ووحدانيته هي أصل رسالة الأنبياء؛ وأن العلاقة تنتظر القادم المؤيد بمفتاح القياس لتشهد بنبوته؛ يتلقَّى تصويب ما غيَّرتُه الأيام وأتلفتها الأيدي ويُخبر به فيصفو مجرى النبع، منحتة عناية القدير النطق بكامل الحق؛ ممَّا لم يكن في وسع أمة قبله احتمالها وتفهمه؛ وهو ما بشرَّ به عيسى عليه السلام أمته (إنجيل يوحنا ١١٦ | ١٣ و١٤): **"إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم؛ ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه..، ويُخبركم بأمر آتية، ذاك يُمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم"**.

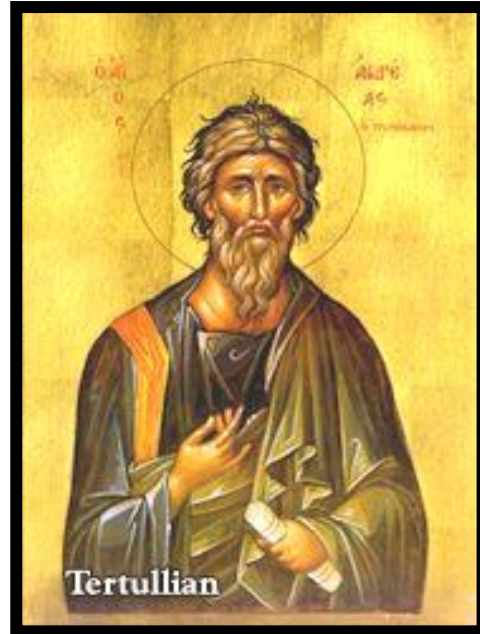
وقد فاضت الأسفار بعلامات ذلك القادم بعد المسيح عليه السلام والمُؤيد بالآيات؛ ليقيم الحق وتنتشر دعوته في كل الأرض: "هو ذا عبدي الذي أعضده مُختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم (جميعًا)..، لا يكمل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته (له شريعة كموسى لكنها عالمية غير قومية)، هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها..، أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك.. نورا للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة (غرض جهاده تحرير المضطهدين)، أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (من بعدك)..، غنوا للرب أغنية جديدة تسيحه من أقصى الأرض (حيث تبلغ دعوته)..، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار (موطنه ومبعثه) التي سكنها قيثار (ابن إسماعيل جد العرب؛ سكن حول بكة الاسم القديم لمكة)، لتترنم سكان سلع (جبل بيثرب مدينة هجرته)؛ من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا" (إشعيا: ١٤٢: ١-١٢)، "ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده (بلا لوثة التثليث الوثنية)" (مزامير: ١١٤٨: ١٣).

والعرب نرية إسماعيل؛ بكر إبراهيم وأخ إسحاق جد اليهود، وقد تفرقوا في الجزيرة وبقيت مكة في وسطهم تضمهم حول الكعبة وزمزم على ملة الجد إبراهيم، وفي خطاب القدير لموسى عليه السلام: "أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم (مكة) مثلك (صاحب شريعة)" تثنية: ١٨ ١١٨، صفته الصادق الأمين؛ وقيم دولة: "يُدعى أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويُحارب" رؤيا يوحنا: ١١ ١١٩، حجه بيان مقروء؛ أي قرآن: "وأجعل كلامي في فمه" تثنية: ١٨ ١١٨، وبيانه المقروء هو مُعجزته الخالدة: "ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم (الوثنية)" يوحنا: ١١ ١١٩، وخطابه المُوجه للأجيال يتضمن بيان حقائق خفية عن العالم؛ لا يحتملها جيل المسيح عليه السلام الذي ترك تفصيلها لوارث إرث التبيين مُبشراً بالقادم بعده: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه؛ بل بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية، ذلك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا: ١٦ ١٢-١٥.

واتهام القرآن لأهل الكتاب بالانحراف في الدين وتحريف مبدأ التوحيد رسالة كل الأنبياء؛ ليس خاليا من الدليل، ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مآثور أهل الكتاب تكشف كم بَعَدَت المسيحية المُتأخرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ١٦ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ١٥ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ١٤ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا: ١٦ ١٣، وعندما سئل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ١٢٢ ١٢٢، ٣٦، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١١٢ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ١٢٢ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ١٧ ١٥، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله داعيا إلى وحدانيته تعالى كأعلام التوحيد سابقه على طول التاريخ: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا: ١١٢ ٤٤، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ١٥ ٣٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ١٥ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحا قال: "ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله" متى: ١٧ ١١٩، ومرقس: ١٨ ١١٠، ولوقا: ١١٨ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تُخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المُسلط سيفا على رقاب الساترين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من ردنني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١١٢ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.



اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)



ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م - ٢٢٥م)

فمن أين إذن جاء التثليث طالما لم يُصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد!، ويُجيب قاموس الكتاب المقدس قائلًا: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥م أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م).. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م).. واضعاً أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية.. وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النبوة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوجدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.

وتتصل حلقات سلسلة النبوات منذ القدم برسالة واحدة إلى الأمم، هي الدعوة إلى وحدانية الله تعالى؛ مُعارضةً المُعتقد الوثني القديم في تأليه العظماء والظواهر المجهولة المُستغربة والمُجسّدات، ولذا تفيض مُدونات أهل الكتاب ببيان مبدأ التوحيد بوضوح تام: "الله واحد" (١كورنثوس ٦١١٢، غلاطية ٢٠١٣، يعقوب ١٩١٢، رومية ٣٠١٣، مرقس ٣٢١١٢)، "ليس إله آخر إلا واحداً" (١كورنثوس ٤١٨)، "أنا الله وليس آخر" (إشعياء ٤٥/٢٢)، "إله واحد" (١تيموثاوس ٥١٢)، "أنا الرب ولا إله آخر غيري.. ليس سواي" (إشعياء ٤٥/٢١)، "أنا الرب وليس آخر؛ لا إله سواي" (إشعياء ٤٥/٥)، "الإله الواحد" (يوحنا ٤٤/٤)، "هل يوجد إله غيري" (إشعياء ٤٤/٨)، "لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري؛ أنا الرب وليس آخر" (إشعياء ٤٥/٦)، "اذكروا الأوليات..؛ أنا الله وليس آخر الإله وليس مثلي" (إشعياء ٤٦/٩)، "لتعلم أن الرب هو الإله؛ ليس آخر سواه" (التثنية ٣٥/٤)، "أنت الإله الحقيقي وحدك" (يوحنا ٣١١٧)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه؛ هذا إذ هو رب السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة" (أعمال ١٧/٢٤)، "أنت هو الإله الصانع السماء والأرض" (أعمال ٤٤/٢)، "ليس سواه" (تثنية ٤/٦)، "وحدهم الله وليس آخر" (إشعياء ٤٥/١٤)، "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" (١الملوك ١٨/٦٠).

وكلمة البدء التي قامت بها السماوات والأرض وفاضت بها المدونات يُمثلها الأمر: (كن)، والمُوجه للمعوم قبل تكونه؛ تصويرًا لطلاقة القدرة والمشينة النافذة، وقائلها هو العلي القدير وحده بلا شريك في مشينته وقدرته على الخلق من عدم: **"بكلمة الرب صُنعت السماوات؛ وبسمة فيه كل جنودها"** (مزامير ٦١٣٣)، **"قال فكان هو أمر فصار"** (مزامير ٩١٣٣)، **"صنع الجميع من العدم"** (٢ مكابيون ٢٧١٧)، وبكلمة (كن): **"يُحيي الموتى؛ ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة"** (رومية ١٧١٤)، **"معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله"** (أعمال ١٨١١٥)، **"له وحده الخلود"** (١ تيموثاوس ١٥١٦)، **"في البدء خلق الله السماوات والأرض"** (تكوين ١١١)، **"أمر فُخلقت"** (مزامير ٥١١٤٨)، **"أنا الرب صانع كل هذه"** (إشعياء ٧١٤٥)، **"الرب خالق السماوات؛ هو الله مُصور الأرض وصانعها، هو قررها لم يخلقها باطلا للسكن صورها"** (إشعياء ١٨١٤٥)، **"أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها؛ يداي أنا نشرتا السماوات وكل جندها أنا أمرت"** (إشعياء ١٢١٤٥)، **"ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السماوات"** (إشعياء ١٣١٤٨)، **"في البدء أسست السماوات والأرض"** (مزامير ٢٦١١٠٢)، **"التفتوا إلي واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض؛ لأني أنا الله وليس آخر"** (إشعياء ٢١١٤٥).

قال ابن تيمية: **"فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمراد به؛ أنه خلق بكلمة قوله (كن) ولم يخلق على الوجه المعتاد من البشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه (أمر الله) فالمراد أن الله كونه بأمره..؛ فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له؛ وتبين أنه عبد من عباد الله"** (الفتاوى: ١١٧ ٢٨٤)، **وتسميتهُ ابناً مجازاً لا تعني الشركة في ذات الله لأن: "أولاد الله أي المؤمنون" (يوحنا: ١١ ١٢)، يقول العلي القدير: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٦٤.**

وفي عبارة ركيكة صادمة تُخالف كل إرث التوحيد؛ تجعل آخر مدونة مع الله تعالى شريك بالتمحك أنه الكلمة: **"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله"** (يوحنا: ١١ ١) **هكذا!!!، ومثلها في الغلو: "بكر كل خليفة"** (كولوسي: ١١ ١٥)، **"كُونِ الْعَالَمَ بِهِ"** (يوحنا ١٠١١)، ولكن ليس المراد بكلمة البدء سوى ما كُونَ بها، وهو مادة تكوين السماوات والأرض بدليل تطابق تفاصيلها مع كشاف العلم؛ خاصة شيء واحد هو سرعتها الثابتة منذ البدء، ولذا فإنها تُمثل تحدياً للذين حرّفوا الكلمة لتصبح شريكاً معبوداً؛ غلّوا في المسيح عليه السلام، ويكفي أنه نفسه قد تبرأ من هذا الغلو وأعلن عبوديته قائلًا: **"الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله"** يوحنا: ١١٣ ١٦، **"إن قلنا أن لنا شركة معه..؛ نكذب ولسنا نعمل الحق"** يوحنا: ١١ ٦، **وأعلنها مُدويةً: "ليعلم العالم أنك أرسلتني"** يوحنا: ١١٧ ٢٣.

وليس الخلاف في كون المسيح عليه السلام كلمة؛ فكلما الله لا يحصيها العد، لأن الجميع وجدوا بكلمته (كن)، ولكنهم حملوها على كلمة البدء كصفة أزلية للذات العلية في الإبداع من عدم؛ لا المَكُونُ بها، فصار في مُعتقدهم صورة عن الله، ولكنه قطعاً ليس كلمة البدء؛ لأنها ليست إلا الأمر الذي كُونت به مادة التكوين بدليل شيء واحد هو القيمة الثابتة لسرعتها الفائقة، والتي هي سرعة مجيء يوم الرب، وفي القرآن الكريم حل الإشكال في مناقضتهم للتوحيد؛ وهو أهم قضية في الدين، بما توهموه من صرف الكلمة على غير الوجه، ومعارضة البديهي تهرباً بمثل قولهم **"الثلاثة هم واحد"**!!!، لأن القرآن الكريم قد بيّن أن كلمات الله تعالى لا نفاذ لها ولا يحصيها العد؛ أي في تدبير شئون كل الخلاق بنظام وقصد، وخص المسيح عليه السلام بالوصف (كلمة) ليعني أنه تكون بها مثل كل الكائنات والتثليث دخيل.

وتأليه المسيح عليه السلام لم يتبلور كمعتقد إلا بعد جدال عنيف بعده بقرون في مجامع الكهنة رعايا الإمبراطورية الرومانية، ولذا الدخيل واضح في مثل: **"الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"** (١ يوحنا: ١٥ ٧ ٨)، **هكذا لم تفلح محاولة إقحام الوثنية!؛ وليس الروح إلا الوحي: "لأنه لم تأت نبوة قط بمشينة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس"** (٢ بطرس: ١١ ٢١)، **فتأمل كيف: "بلا عنر.. لما عرفوا الله لم يمجده أو يشكروه كإله؛ بل حمقوا في أفكارهم..، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبلوا مجد الله الذي لا يفنى؛ يشبه صورة الإنسان الذي يفنى..، عبدوا المخلوق دون الخالق"** (رومية ٢٠١١-٢٥)، **"كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا! حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتابة الكاذب"** (إرميا: ٨ ١٨)، **"أما وحي الرب فلا تنكروه بعد؛ إذ قد حرفتم كلام الله الحي"** (إرميا: ١٢٣ ٣٦)، **"الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا، إذ هو رب السماء والأرض؛ لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي"** (أعمال الرسل: ١٧ ١٧ ٢٤). **"العلي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي"** (أعمال الرسل: ١٧ ٤٨)، **"يا لتحريفكم!"** (أشعيا: ١٢٩ ١٦).

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي سُبْحَانِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرِسْلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء: ١٧١؛ قال ابن تيمية: "في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر؛ فيسمى المخلوق خلقاً..، ولهذا يُسمى المأمور به أمراً" ١٠١، "فتسمية المخلوق بالكلمة؛ كلمة من هذا الباب" ١٠٢، و"كلمات الله كثيرة؛ وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام؛ لم يجر أن يكون خالفاً، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة؛ وخص باسم الكلمة، فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره؛ بل خرج عن العادة، فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة بالبشر، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ لا يوجب أن يكون مُنفصلاً من ذات الله، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية: ١٣، وقال ابن كثير: "أي إنما هو عبد من عباد الله؛ وخلق من خلقه، قال له كن فكان ورسول من رسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾؛ أي خلقه بالكلمة" ١٠٣، أي: "كن" ١٠٤.

وقال ابن تيمية: "وكذلك الله تعالى قال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٤٥-٤٧؛ ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق؛ ليس هو ما يقوله النصارى، منها أنه قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ نكرة في الإثبات؛ يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى، ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما قال..: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٥٩، وقال..: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مريم: ٣٤ و٣٥، فهذه ثلاث آيات في القرآن (آل عمران ٤٧ و ٥٩ و مريم ٣٥) تبين أنه قال له ﴿كُنْ﴾.. وهذا تفسير كونه ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقال: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أخبر أنه ابن مريم؛ وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة؛ هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى" ١٠٧، وإذن: "سُمِّيَ (كلمة) لأنه بالكلمة كان؛ وهي (كن)، وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل" ١٠٨، فسماه الله عز وجل كلمته؛ لأنه كان عن كلمته" ١٠٩، لذا: "سميت الأعيان كلمات" ١١٠، "فقد أخبر أن كلماته لا نفاذ لها بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف: ١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان ٢٧" ١١١، وكما أن الأمر يدل على أمر والكلمة على ناطق؛ كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدتها" ١١٢.

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في التحريف وبراعة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وصدقته في جمع النصارى أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أهل الكتاب)، وتحقق نبأه في تأليههم أمه قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها،: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ تَقُلْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المائدة: ١٦ و ١٧، والمضمون أن المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.

١٠١ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ دقائق التفسير: ٣٢٥ ١١.

١٠٢ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ دقائق التفسير: ج ١ ص ٣٢٦.

١٠٣ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ دقائق التفسير: ٣٢٦ ١١.

١٠٤ أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير: ٥٩١ ١١.

١٠٥ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ دقائق التفسير: ٣٢٥ ١١.

١٠٦ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ دقائق التفسير: ٣٢٤ ١١.

١٠٧ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ دقائق التفسير: ٣٢٥ ١١.

١٠٨ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ زاد المسير: ٣٨٣ ١١.

١٠٩ تفسير الطبري: ٥٩١ ١١.

١١٠ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني؛ التعريفات: ٣١٣ ١١.

١١١ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ الرسائل: ٨٦١١٧.

١١٢ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحاراني؛ الرسائل: ٣١٣ ١١.

ولو كان مع الله شريك لاختلف نظام الكون، والدليل الصارم على وحدة النظام هو ثبات قيمة الحد الأقصى للانتقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢١ الأنبياء: ٢٢)، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٢٣ المؤمنون: ٩١).

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة أمثال" يشوع بن سيراخ: ١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتعطي الجهال ذكاءً والشباب معرفةً وتدبُّراً. يسمعها الحكيم فيزداد علماً والفهيم يكتبها تدبيراً. لفهم المثل" الأمثال: ١١: ٤-٦ Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتداً يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرماً وسلمه إلى كرامين وسافر زماناً طويلاً. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبداً لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغاً. فعاد وأرسل عبداً آخر فجلدوا ذلك أيضاً وأهانوه وأرسلوه فارغاً. ثم عاد فأرسل ثالثاً فجرحوا هذا أيضاً وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تأمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويُعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشاً! فنظر إليهم وقال: إداً ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناعون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا: ١٢: ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تنبأ بالنبى بعده على درب التوحيد: "متى جاء المعزّي.. روح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا: ١١ ٢٦ John، وقال: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق..؛ ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم" يوحنا: ١٦ ١٣ و١٤ John، وتؤيده نبوءة مُعاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عمّده بنهر الأردن بمثل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي؛ هو أقوى مني؛ الذي أَسْتَأْهِمُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِدَاءَهُ" متى: ١٣ و١٠ و١١ Matthew، ولم يجد الرَسُولُ عيسى عليه السلام إلا أن يُفسّر لهم النبوءة صريحاً: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" متى: ١٢ ٣ و٤٤ Matthew، ولا يبعُدُ هَذَا عَنْ قَوْلِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.



ومنذ أكثر من ألف سنة؛ كانت براعة قبائل العرب مُتمثلة في التجارة وأشعار الانتصار في الغزوات، ولم يكن لهم ولا للعبرانيين أدنى معرفةً بسرعة الضوء البالغة ولا بمعايير حركة القمر؛ وهي أمور آتية، فالتحقق إن من القياس مرهون بعصر قادم يتَّسم بالعلم بخفايا التكوين؛ لبيان تقدير واحد شامل منذ نشأة الكون حتى نهايته، برهاناً مُدخراً لا يعقله إلا العالمون؛ يعلن أن القرآن الكريم ليس بقول بشر، وإنما جاء مُصدِّقاً لما سبقه ومُكَمِّلاً ومُؤيِّداً بالدليل؛ ومُحَقِّقاً لوعده جازم: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣ .



قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: " **{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ}** يستبطنون نزوله بهم استهزاء منهم، **{وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ}** ولن يؤخر عذابه عن وقته، **{وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}** فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كآلف سنة؛ قاله مجاهد، الثاني: أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة، الثالث: أن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كآلف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك يوم النعيم" ^{١١٣}.

وفي تفسير مجمع البحوث: **{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}**؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر قريشا من نزول العذاب بهم، كما نزل بمن قبلهم، إن استمروا على كفرهم، فكانوا لا يحذرون، وعمدوا إلى التحدي، فطالبوه بانزال العذاب الذي يحذرهم منه؛ طالبوه استهزاءً وتعجيزاً، فأنزل الله هذه الآية ينكر عليهم استعجالهم فإن الأمر ليس لهم، والزمن الطويل عندهم قصير عند ربهم، والآية في ظاهرها خبر، ولكنها تتضمن الاستفهام الإنكاري لاستعجالهم، فكأنه قيل: ويستعجلونك أيها الرسول بالعذاب الذي أوعدتهم به على لسانك؛ فأنكروه وكفروا به، فكيف ينكرون مجيئه؟ ولن يخلف الله وعده، والأمر في مجيئه ليس إليهم حتى يسارع به تلبية لرغبتهم، فلا يستبطنوا نزوله، فإن الأمر فيه لله تعالى والله لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده، فهو قادر على الانتقام منهم في الوقت الذي شاءه لعذابهم، فلا يفوته ذلك وإن أجله وأملى لهم فيه" ^{١١٤}.

وقال القاسمي: " **{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ}** أي المبين في آية (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انزِلْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ) الأنفال: ٣٢، (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) أي فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين، (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) أي هو تعالى حليم لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده، بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وأنه لا يفوته شيء، وإن أنظر وأملى، ولهذا قال بعده: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا) أي أهلتها، (وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ) إلى حكمي مرجع الكل فأجزبهم بأعمالهم، فتأثر هذه الآية ما قبلها صريح في بيان خطئهم في الاستعجال المذكور، ببيان كمال سعة حلمه تعالى، وإظهار غاية ضيق عطنهم، المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طويلا عندهم، حسبما ينطق به قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَوْهُ قَرِيبًا) المعارج: ٧ و٦، ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويجترئون على الاستعجال به، ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعا وإخبارا ما عنده تعالى من المقدار؛ أفاده ابن كثير وأبو السعود، وفي (الغاية): لما نكر استعجالهم وبيّن أنه لا يتخلف ما استعجلوه وإنما أخر حلمنا، لأن اليوم ألف سنة عنده، فما استطلوه ليس بطويل بالنسبة إليه، بل هو أقصر من يوم، فلا يقال: إن المناسب حينئذ أن ألف سنة كيوم، والقلب لا وجه له، وقال الرازي: لما حكى تعالى من عظم ما هم عليه من التكذيب، أنهم يستهزئون باستعجال العذاب، بين أن العاقل لا ينبغي أن يستعجل عذاب الآخرة فقال: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) يعني فيما ينالهم من العذاب وشدته (كَأَلْفِ سَنَةٍ) لو عدّ في كثرة الآلام وشدتها، فبين سبحانه أنهم لو عرفوا حال عذاب الآخرة، وأنه بهذا الوصف لما استعجلوه، قال الرازي: وهذا قول أبي مسلم، وهو أولى الوجوه، انتهى، وقد حكاه الزمخشري بقوله: وقيل معناه؛ كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه، في طول ألف سنة من سنينكم، لأن أيام الشدائد مستطالة، أي تعدّ طويلة.. كما قيل: تمتع بأيام السرور فإتأها قصار وأيام الهموم طوال، أي كان ذلك اليوم الواحد، لشدة عذابه، كآلف سنة من سني العذاب، انتهى، واعتمد الوجه الأول أبو السعود، وناقش فيما بعده بأنه لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه، فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوي، وأن الزمان الممتد هو الذي مرّ عليهم قبل حلوله بطريق الإملاء والإمهال، لا الزمان المقارن له، ألا يرى إلى قوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) الخ، فإنه صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد، انتهى، وفيه قوة، فالله أعلم" ^{١١٥}.

وقال أبو زهرة: " **{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}**؛ السنين والتاء للطلب، والمعنى يطلبون العجلة بالعذاب متحدين زاعمين أن ذلك الإنذار لا يقع كما قالوا: (فَأْتِنَا بِمَا

^{١١٣} الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣٣/٤).

^{١١٤} مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٦/١٢٣٢).

^{١١٥} محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨ هـ (١٧/٢٥٢).

تَعِدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)، وإن هذا التحدي منشؤه غفلة في نفوسهم وعقولهم، إذ حسبوا أنه لن يجيء على حسب زعمهم، فأكدّه الله تعالى بقوله: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، فهو جاءٍ لا محالة، وكل ما يأتي واقع وقريب مهما يكن تمادي الزمان، وإن الزمان قريب أو بطيء هو بالنسبة للعباد، أما عند الله فإنه لا تحكمه الأزمان والأماكن (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ لأن أزمان أهل الدنيا أعراض لأحوالهم، أما الزمن عند الله فهو غير مقدر ولا معدود؛ ولذا قال تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فلا تستطيعوا أن تقدرُوا زمانا لما يعدكم به، فلا يقال لكم هو مائة أو مائتان، ولكن هو محكوم بإرادته وتقديره سبحانه، وهذا تصوير لإمهال الله في تقديره، وهو العظيم الحكيم العلي القدير، وتقديره سبحانه، اليوم عند الله تعالى بألف سنة مما نعهه بالأيام والليالي، إشارة إلى أنه لا يُعَدُّ وهو فوق تقديركم، والعرب ما كانوا يعرفون إلا الألف ومضاعفاته عدًّا، روي أن أعرابيا أعطاه الخليفة ألف دينار، فذكر ذلك لبعض صحبه، فقال له: لو طلبت أكثر لأعطاك، فقال الأعرابي: ما كنت أعرف فوق الألف عددا، فذكر الألف تقدير بأكبر عدد نعرفه، أو إطلاق للعدد، فالمعنى أنه ليس لكم أن تتصوروا سنين معدودة، بل إن وعد الله بالعذاب سيجيئكم لا محالة، ولا تتحدوا رسوله، وإنهم يرونه بعيدا، ونحن نراه قريبا^{١١٦}.

وقال الألويسي: " (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) الضمير لقریش؛ كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذرهم عذاب الله تعالى ويوعدهم مجيئه؛ وهم ينكرون ذلك أشد الإنكار، ويطلبون مجيئه استهزاء وتعجيزا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنكر عليهم ذلك، فالجملة خبر لفظا واستفهام وإنشاء معنى، وقوله تعالى: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) جملة حالية جيء بها لبيان بطلان إنكارهم العذاب في ضمن استعجالهم به، كأنه قيل: كيف تنكرون مجيء العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده، وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه..، وقوله تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ).. سيقى لتتحقق إنكار الاستعجال وبيان خطئهم فيه؛ ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى وإظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع، لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طويلا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا) المعارج: ٧٦ و٧٧، ولذا يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويجترئون على الاستعجال به، ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعا وإخبار عما عنده من المقدار، وقراءة الأخوين وابن كثير (يعدون) على صيغة الغيبة، أي يعده المستعجلون أوفق لهذا المعنى، وقد جعل الخطاب في قراءة الجمهور لهم أيضا بطريق الالتفات، لكن الظاهر أنه للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المؤمنين، وقيل: المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة من موعده معين وأجل مسمى؛ كما في قوله تعالى: (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) العنكبوت: ٥٣، فتكون الجملة الأولى مطلقا مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود، والجملة الأخيرة بيان لبطلانه ببيان ابتئانه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه المار بيانه، وحينئذ لا يكون في النظم الكريم تعرض لإنكارهم مجيئه الذي دسوه تحت الاستعجال، ويكتفى في رد ذلك ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم، وأيا ما كان فالعذاب المستعجل به العذاب الدنيوي وهو الذي يقتضيه السباق والسياق، وقيل: المراد بالعذاب العذاب الأخروي والمراد باليوم المذكور يوم ذلك العذاب واستطالته لشدته فإن أيام الترحة مستطالة وأيام الفرحة مستقصرة..، فيكون قد رد عليهم إنكار مجيء العذاب بالجملة الأولى، وأنكر عليهم الاستعجال به، وإن كان ذلك على وجه الاستهزاء بالجملة الثانية، فكانه قيل: كيف تنكرون مجيئه وقد سبق به الوعد ولن يخلف الله تعالى وعده، فلا بد من مجيئه حتما، وكيف تستعجلون به واليوم الواحد من أيامه لشدته يرى كألف سنة مما تعدون، ويقال نحو ذلك على القول بأن المراد باليوم أحد أيام الآخرة فإنها اعتبرت طويلا أو أنها تستطال لشدة عذابها، واعتراض بأن ذلك مما لا يساعده السباق ولا السياق، وقال الفراء: تضمنت الآية عذاب الدنيا والآخرة وأريد بالعذاب المستعجل به عذاب الدنيا أي لن يخلف الله تعالى وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، ولا يخلو عن حسن إلا أن فيه بعدا كما لا يخفى^{١١٧}.

^{١١٦} محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٩٠٠٥٠).

^{١١٧} شهاب الدين محمود الألويسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٩٦١).

وقال ابن عاشور: " (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) عَطَفَ عَلَى جُمْلَةٍ (وَإِنْ يُكذِّبُوكَ) الْحَج: ٢٤، عَطَفَ الْقِصَّةَ عَلَى الْقِصَّةِ، فَإِنَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْوَعِيدِ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِي وَعِيدِهِ لَعَجَلَ لَنَا وَعِيدُهُ، فَكَانُوا يَسْأَلُونَهُ النَّعْجِيلَ بِنَزُولِ الْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الْأَنْفَال: ٣٢، وَقَالَ: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) السَّجْدَةُ: ٢٨، فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمُنَاسَبَةٍ قَوْلِهِ (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) الْحَج: ٤٤؛ الْآيَةُ، وَحَكَى (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ) بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِلإِشَارَةِ إِلَى تَكَرُّرِهِمْ ذَلِكَ تَجْدِيدًا مِنْهُمْ لِلإِسْتِهْزَاءِ وَتَوَرُّكًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَالْمَقْصُودُ إِبْلَاغُهُ إِيَّاهُمْ، وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ (بِالْعَذَابِ) زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الإِسْتَعْجَالِ بِشِدَّتِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ يَحْرُصُونَ عَلَى تَعْجِيلِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) الرِّعْد: ٦، وَلَمَّا كَانَ اسْتَعْجَالُهُمْ إِيَّاهُ تَعْرِيضًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ مُوقِنُونَ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ وَقَاطِعٌ أَعْقَبَ بِقَوْلِهِ: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، أَيُّ فَالْعَذَابُ الْمَوْعُودُ لَهُمْ وَقَاطِعٌ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهُ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَفِيهِ تَأْنِيسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ لِئَلَّا يَسْتَبْطِنُونَهُ، وَقَوْلُهُ: (وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) عَطَفَ عَلَى جُمْلَةٍ (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ وَهُوَ صَادِقٌ عَلَى عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ إِنَّمَا اسْتَعْجَلُوا عَذَابَ الدُّنْيَا تَهْكُمًا وَكِنَايَةً عَنِ إِيقَانِهِمْ بِعَدَمِ وَقُوعِهِ بِإِلْزَامِ وَاحِدٍ، وَإِيْمَاءً إِلَى عَدَمِ وَقُوعِ عَذَابِ الْآخِرَةِ بِإِلْزَامِ بِلَازِمَيْنِ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَدًّا عَامًّا بِقَوْلِهِ: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، وَكَانَ ذَلِكَ تَثْبِيثًا لِلْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ بِإِنذَارِهِمْ بِأَنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ لَا يُفْلَتُونَ مِنْهُ أَيْضًا وَهُوَ أَشَدُّ الْعَذَابِ، فَقَوْلُهُ: (وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي النَّعْرِضِ بِالْوَعِيدِ، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) الْعنْكَبُوت: ٥٣ و٥٤، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) إِلَى آخِرِهِ اسْتِقْصَارَ أَجْلِ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، لِعَدَمِ رَشَاقَةِ ذَلِكَ عَلَى أَنْ هَذَا الإِسْتِقْصَارُ يُغْنِي عَنْهُ قَوْلُهُ عَقِبَ هَذَا: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا) الْحَج: ٤٨، وَالْخَطَابُ فِي تَعُدُّونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ تَعُدُّونَ بِالْفَوْقِيَّةِ، وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ (مِمَّا يَعُدُّونَ)؛ بِيَاءِ الْغَانِبِيِّينَ، أَيُّ مِمَّا يَعُدُّهُ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ" ١١٨.



الحقل العلمي Scientific Field

Astrophysics

الفيزياء الفلكية

الموضوع Subject

Speed of light

سرعة الضوء

نصوص متعلّقة Related Texts

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢ السجدة: ٤.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢ السجدة: ٥.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢ الحج: ٤٧.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤ القمر: ٤٩ و ٥٠.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٩ التوبة: ٣٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ ١٠ يونس: ٥.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢ البقرة: ١٨٩.
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٣٧.
- ﴿فَقُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧ محمد: ١٨.
- ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦ النحل: ١.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٧ الأعراف: ١٨٧.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ١١ هود: ١٢٣.
- ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تُكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاتِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٩-١٢ فصلت: ٩-١٢.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦ يس: ٣٧-٤٠.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢ يوسف: ١٠٥.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧.
- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٢ البقرة: ٢٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤ النور: ٤٣.
- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١ الأنبياء: ١٠٤.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٩ الزمر: ٦٧.

